شعر
رصاصة فارغة
قبر مزدحم
وفائي ليلا
المتوسط

مشروع

اقرأ

لأولئك الذين يقرأون بأرواحهم...

رصاصة فارغة في قبر مزدحم

وفائـي ليلا

#
ابن حرام

13 يونيو، 2012، الساعة 09:39 مساءً
××××××

إنها الشام إذاً
إنها كل ما ليس لنا
بجسورها الهاربة من أصابعنا
أسواقها التي إستأجرها الغش
قاطنين غرباء يلكنون بلهجة تنهش قلوبنا بالتهديد
إنها كل ما ليس لنا
...أهلها
ضيوفاً غير مرغوبين فيهم
يحاصرنا سائقو (التكاسي) بإستجوابات سريعة
و ثمة من ينصت لحديث جانبي في مقهى قديم
ومن يُعبىء استمارات مطولة لبيانات في فنادقها الرخيصة لدورية أمن تمر مساء لتحصي وافديها من كل الجهات .
إنها كل ما عدانا
بصالات (سينماها) التي غادرت جمهور الناس
و صارت مجرد (منامات) مؤقتة للفارين من الخدمة
و متسولي رعشة حميمة مع بنت التقطت من شارع جانبي ، أو حديقة
و آخرين يمتهنون العتمة ليتعارفوا بلمسات تتسلل جوار قريب
إنها دمشق التي تتكاثر فقراً
بأسواق البالة ،
و شرطة تسرق جموع الناس ببزة الدولة المكوية ... و قبعة التهديد الصارمة الإبتزاز
إنها بطات (السبكي) القذرة التي تتناقص بإضطراد
رائحة المجاري التي تفوح فور قذف النوافير ...مائها الملوث
الصِبية الصغار الذين (يدقون) الوشم تحت ظلال الجانب (يحششون) قليلاً
و بعضهم يمارس الدعارة ببراءة الهواة
كل أولئك الذين يعبرون طرقاتها ،

بطبشور شاحبهم
و كتف الوهن
أعمارنا التي مرت
دون أن نلحق فيها أي أمل .

إنها دمشق
خفف الوطأ قليلاً
أجراء التجار يلّمعون مراياها كل صباح
بلُعاب اللعنات
و كف الحنق
إنها هذا الكذب كله ،
و التلفيق أشده ،
و الموسيقا الحانية التي لا تعني شيء .
إنها زئير (الزيل) عل طرقات خشنة
صوت الصفعات التي ترن في الأقبية
تختلط برائحة البول و الرطوبة .... و الهلع .
الحياة التي تمشي على عكازين غير مكترثة
و بلا سروال داخلي
على أرصفة اعتيادها اليومي
الخوف ، و سلس البول الذي ينهمر
على بيوتات تتراكم فوق بعضها ... كَهَمْ
إنها كل شي
ما عدا ما تراه على شاشات برنامج الصباح الرسمي
... دقق النظر قليلاً
خولة بنت الأزور ترقد قرب نهر يفوح برائحة (الخراء) المستمر
أربع و عشرون ساعة
نهر غوطتها العظيم التي تتغوط المعامل ، و الدّباغات ، ومصارف الصرف الصحي للقصر الجمهوري في نسائم تهب كلما هب هواء أغنية ... تثير ابتسامة الرثاء
صِبيتها المُسهدون يلمعون تحت طبقة (جِل) رخيص
يخترعون حكايات النصر
لينشلوا من فقير المتاح
معاش يومهم الصعب
النعوات التي تتكاثر صلبانها في ساحة باب توما
و صوت الكنيسة البعيد
الأولاد الذين يتزاحمون باصاتها ...يتبادلون الشتائم والإستعراض أمام فتيات صغيرات
_ لا يهتتمن بالواقع _
إنها دمشق التي يتسلون بها
كجدة أتية من ريف قصيّ
يجذبون (شُرشَها) الطويل
غطاء رأسها المُزين بليرات ذهب قديم

وشمها الذي يرتجف من التأثر ، و الإهانة
عروق يديها المُجهدّتين
ألوانها الفاقعة التي تثير الضحك
حلقة الذهب في أنفها الشامخ
وتهدّل الحلق في أذنها التي لا تسمع كثيراً .

إنها المدارس الهائلة الجدران ،
الأقبية المُفخخة بالسر ،
الطرقات التي تحكمها (محارس) غامضة
و عناصر ينتشرون كوباء على مفارق جسدها المتمدد...
أماكنه الأكثر حميمية
... إنها فضلات حزب البعث ،
تنظير الشيوعيين الفارغ ،
خالد بكداش المناضل الهرم الذي أورث كل فرد من عائلته حزباً رثاً يمارس السحاق علناً مع الدولة
القوميين السوريين الذين (يطرقون كاسات) نخبوية عالية الإحتقار
عموم الناس الذين يمشون الحيط الحيط و (مين ما تجوز أمي) ...
إنها الحروب التي لا تُخاض إلا بالأغاني الصاخبة في المدارس ،
في المعسكرات ،
في السجون ،
في (مرحباً يا صباح)
في (غداً نلتقي) بذات الملل .
في مهران يوسف ، و عزة الشرع ، والسيدة الفاضلة أم عمار ، في برنامجها الشهير ذاك
ما يطلبه (الرفاق)
(صف الفشك)
و نعيم حمدي
و مصطفى نصري
خساراتنا المروعة بكرة القدم
و صراعنا التاريخي مع عدو استراتيجي
نحتفظ بمنازلته دائماً ... (بحق رد) لا يحدث
إنجازاتنا الإستراتيجية بتصنيع (العلكة) و (الشيبس) و (محارم كنار)
إنها الملل كله ،
و البؤس على أشده ،
صوت الشعب ،
و برنامج إلى الزاحفين على بطاح غزة ، وصحراء النقب
الذين صُفوا و طوردوا (...) من كل الجبهات ، إلى أبعد ما يكون عن أرض البرتقال الحزين
إنها كل شيء ما عداك ،
ما عدا الإنسان فيك ،
هذا الفقر كله ،
هذا الحضيض كله ،

هذا الإعياء كله ،
إنها الشام
المدينة الجثة
على منضدة التشريح
مباضع رسمت خطوط اتصالها
غرز إبر
و شاش حداد غطى كدمات غامضة المنشأ
(بلاستر) طبي ينتشر في أرجاء جروحها الغامضة المصدر
أجهزتها التي تراقب كل شيء ، و تحكم قبضاتها السرية على غرف نومنا ، و ضمائرنا .
و تزرع العسس في خلايانا ،
و تهرس أصابع قلوبنا ،
... إن فكرنا الإحتجاج
تنجز المسلسلات الناجحة
التي تصور بؤسنا (بواقعية اشتراكية) مريرة
ليتسلى العرب في كل مكان على أوجاعنا البارعة التنهد
و تتعقبنا ، و تشاركنا ، و تقاسمنا ما نجني ، و ما ننوي ، و ما نستطيع دفعه (لدفع البلى)
و الستر .
إنها كل فنادقها التي ترعى الدعارة بحرص أبوي خالص ،
موماساتها اللاتي يقتسمن محافظ الجُند الآتين
بأعضاء منتصبة ... من قرى بعيدة
لا تستطيع تحفظاتها أن تدفع بصمت ثمن شهواتهم المسروقة .
إنها الحدائق التي ينتشر في أرجائها المتسولين ، وعناصر الأمن الشديدي الوضوح ، المشردين ، و الفقراء الذين يفترشون المقاعد ، ويغطون بنوم عميق .
إنها الحمّامات العامة تفوح برائحة الغائط ، و منحرفين يجربون حظوظهم المحفوفة المخاطر
يبتزها مدّعو أمن سريين ، و رجال شرطة ، و قوادين ، و صائدوا أي متاح للنشل ...
إنها الطلاب الفارين من المدارس ، و الجند من المعسكرات ..
الطرقات التي تعج بالغبار ، و (ميكروات) تهرع لإلتقاط الزبائن .. بشبق شره
إنها الإزحام ...الوجوه الفقيرة ، و الرقع ، و الأجانب الذين يرتدون شورتات قصيرة جداً ، و يقتنون تذكارات رخيصة لشرق يلمسون وهمه بصدق شديد .
إنها خواتم الفضة ، عقيقها الزائف .. مقتنيات أثرية سيئة الصنع .. تجار مُلس من نفاق
إنها أبواب الأموي الهائلة المغلقة على أنبياء ماتوا كثيراً
و فقراء يفترشون ممراته الجانبية ...
ظلال رطبة ...
و إغفاءة مؤقتة
بيت حجري هائل لإله يتبرز الحمام في صحنه المقدس
... دون اكتراث

إنها بيوت (الزفتية) التي كنا نتجنب المرور بها ، التي محتها الدولة و طردت سكانها
الأصليين (النازحين)... نفسهم من تتاجر بهم الآن ، و ألحقتهم إلى جوار جثمان السيدة زينب في بيوت تخجل الصومال بها
إنها بائعو البسطات المتنقلة وهم يحملون على رؤوسهم صُرر هروب لفقيرهم الذي تتعقبه سيارات الشرطة البارعيين ، و العدائين الذين تنتقيهم بحس أمني بالغ الرفق ، و المودة .

إنها الشام التي ... لن يخدعنا أحد
الأعلام الممزقة على (ساريات) المؤسسات الرسمية
العسكر الذين يقفون تحت شمس ، و قيظ ، و ذباب
يحكّون أعضائهم من الضجر و الإمحاء
سيارات المرسيدس السوداء المُعتمة النوافذ ...البيجو المخصصة للأمن ، والـبي إم لأعضاء القيادة القطرية القِصار القامة .
إنها بائعو اليانصيب المُخترقين أمنياً ،
بائعو الدخان المهرب الـ يقتسمون أرباحهم مع الضباط المهربين من (ليبانون) الشقيق
أفران الإزدحام التي تقتنص رعشاتنا الأولى من احتكاك غير بريء ، أو يد مجهولة المصدر
إنها البريد الهرم الذي يخفق بإرسال رسائل استغاثتنا إلى العالم طوال أربعين قرن من التعتيم ، و الحجر في أقبية التكبيل .
إنها انتصاراتنا التي تتجدد مع كل خطاب يطمئن على صحة مواقفنا الخارجية المُشرّفة .
التأكد من صحة فلسطين المستغرقة في (كوما) أبدية .... عشيقة مفضلة تستغرق في غرفة نوم الأمين العام القطري المساعد و صحابته الجليلون عليهم الصلاة و السلام جميعاً
إنها دمشق .... نعرفها خطوة .. خطوة ، قهراً قهراً ... لا شيء أنيق سوى سفارات الآخرين ، و مراكزهم الثقافية التي نتكدس بها متسولوا حداثة .... كمثقفين .
نضع وشاحات مؤثرة ، و نطيل ذقون تتسول الغرابة
و نعلك عبارات مضحكة ...
عن الواقع المعيوش ، و الحتمية (الخرائية) .
إنها بيوت لا تخص أحد ... ممن لا نعرفهم في المزة فيلات ...تتباهى فقرنا المدقع بقرميدها الأنيق

يا لدمشق الضائعة في حواري الميدان
في رائحة الخبز (المشروح)
و باعة الفول المندفعين ببطونهم الهائلة ، وضحكاتهم فوق (قدور) هائلة
يدفعون كامل سواعدهم المحترفة
في بطنها المتكرش النحاس .
يا لدمشق المتعثرة بأرصفة مخلّعة الأطراف
شلل أطفال لا يبرؤ أبداً

و أنفاق نسيتها أمانة عاصمة ، لا تؤتمن على شيء

يا لدمشق المتسولات ، و شحاذو الفرص ، و قانصو الخليجيين البدينون ....
حافظات نقودهم المكتنزة ، و سذاجتهم التي تغري بالنصب ، دون إحساس
أدنى بالذنب ، أو العار .
يا لمفترسوا سذاجة الأجانب الشقر... تدهشهم البلاد الخام ...و يصرخون
كلما رأوا شيئاً تافهاً (واوووووووو)
يا للمدينة التي ليست لنا ، و تهيننا رغم كل شيء
يا للأم التي تركتنا لقطاء تعسين
و يتامى يبكون فقدها المستمر
يا للمدينة التي
استولى الجند على فخذيها ،
وعبث جنرال واحد على الأقل بثدييها العاريين أعلى قاسيون
يا لذلنا الذي ننتقم له الآن
يا للعار الذي نكشط جلده الآن دفعة واحدة... دون ألم
إنها ذاكرتنا التي نجرّف رحمها بقسوة
كي لا نُعيد إنجاب هذا الجنين الخديج
ابن الحرام
و الزنى
ذاك

#

أجرّ أرضاً كاملة خلفي
لا أبواب يمكن اغلاقها
و لا أقفال
ثقيلة بالحروب
و القتلى
جُند بلا رُتب
و أسرى بلا ثياب
أجرّ أرضاً
و أبكي

#

أخبريهم
أنك رأيت البلاد تهرع حافية على الطرقات
أن اقدام الأطفال الملوثة بالطين و الدم و العار ...تنتفض على مناضد المشافي العارية
أخبريهم يا (ميّ)
لماذا عينيك تومضان بكل ذاك القلق
أن المحقق لم ينبس حين رآك
أخرسه الألم

أخبريهم يا (ميّ)
أنك بنت هذه الأرض ، و هذه الكنيسة التي بك .. هي نفس المئذنة التي هوت في روحك
و أن ذاك الرنين هو نفس صوت الآذان الذي غناه الفتى على نهر حماة ... فصادروا حنجرته للأبد
و لذلك بالضبط ... تغني

أخبريهم يا (ميّ)
أنها أرضنا تلك ، و حقلنا ، و بيتنا ، و ذكرياتنا ، و أنهم طارئوت بغدرهم ، بلؤمهم ، بعارهم بدعوتهم الغريب لسفك دم الشقيق
أخبريهم يا (ميّ)
للعميّ
للصم
لمفقوئي القلب
أن لا حواس لهم
أن لا شفاه
ولا قلوب
و لا أمهات
أخبريهم يا (ميّ)
أن البقاء لنا .. نحن أبناء هذه الجبال كلها ، و ذاك السحاب كله ، وتلك الشمس الواسعة الطيف ، و ذاك القمر البرتقال يتقطّر بالشعر و الأخضر

أخبريهم يا (ميّ) أن (لوركا) لم يمت و إن أطلقوا عليه كل الرصاص الممكن
من يقتل الدوران ، أو يصادر المد
أو يقنص الجمال في فكرة أو رأس
من يقبض فراشة الأمل التي تطير كلما قبضوا عليها أكثر ...و أن الفضة التي تتركه على الأصابع هو امتنانها الخاص
أخبريهم أيتها السيدة العالية
أنكِ الأطول من كل الأدوار
و أ بقى

#

أخذوا دمشق مني
شجر الكينا الهائل
النهرالحزين المختنق، يمشي هنالك بحذر على رؤوس دموعه
أخذوا دمشق مني
الأماكن كلها
مكب نفاياتها ،
فوط نسائها المطوية بعناية فائقة الحرص كي لا تفشي الأسرار
حواريها الخلفية ،
جدرانها التي نحتمي .. و نمارس الممنوع

الحمّامات الوحيدة التي تستمني وحيدة
باب توما التي تتسوق فيه عجائز مكشوفات الرأس
بصلبان عارية و لطف مرحب

أخذوا دمشق مني
جموع الناس يضخهم ضجيج سوق طويل
الباعة الذين يشدونك في كل اتجاه
المرايا ،
واجهات المحلات الصاخبة الألوان
ملابس الزفاف التي تفرط ببياضها هناك
تلمح بين ثناياها دم بكارة منتظر

أخذوا الشام كلها
أطفئوا سمائها بالقذائف
أغرقوها بالحزن

سطور

أخذوا (خيرية) التي هربت من زوجها ليلة عرسها
ربطتها النسوة في اليوم التالي بأطراف السرير من جهاته الأربع
كي (يدخل) العريس
صوتها الذي كان يستنجد بذعر
طلاقها الذي حدث بعد وقت قصير .
أخذوا (محمد ... (مات (بعز شبابو (كما تقول أمي متأسفة
ترك صبياً و أرملة
كانت ترثيه كلما عنّ على بالها ابن عمها القتيل ذاك ،
(_:و لي على طولي (
فنغار

أخذوا ستي منا ،
و (البحرة (،
و أبو جرش ،
القبور البيض التي تتوسط المكان
يلعب الصبية ، و ينام حشّاشي الحارة في عتمة وحشتها
كل الشواهد المتشابهة التي نختفي خلفها
الفاتحة في الأعلى
و تواريخ و أسماء تتكرر بلا قيمة أو أهمية
أسفل
أخذوا الطرقات و التدافع
سيارات النقل الصغيرة التي تصعد الجبل بخفة
أنحشر فيها مع جدة عجوز ، يتقزز جسدي الطفل من الملامسة ،
يعي أن هذا المتعب والمتقوس و الهزيل سيغادر الحياة قريباً

يا لغرور الصغار ،
صلفهم ،
احتكارهم فكرة الأبد بإعتداد أحمق .

أمي التي تنظر بهلع من العين الساحرة
..تركض تلملم الفوضى اثر ضيف غير متوقع
تمسح فمها بسرعة
تضغط شفتيها بأسنانها لتعيد دم هارب
تمسح فوق جفنيها أعلى ، مطلقة زفير حسرة أخير
متكسرة على مرآة - تلتقط الصور ببرود لا يأبه - قبل أن تفتح باب طال انتظاره
_:يا مية أهلا و سهلا ...
يختفي كل التعب فجأة ،
الإنهماك بالحزن و الأسى
صوت مرحب ، و إبتسامة تملئ المكان
كأن موت لم يكن قبل لحظة ،
كأن حزناً مفرطاً ..... غاب .

أخذوا كل شيء الأن
هاتفنا خلف الباب
حصّالة النقود التي ركبّها أب حانق
لا يأبه من أين يأتي الأولاد بليرات الفضة
كي يسترقوا مكالمة نادرة
تحت الدرج (كتلوكات السيكس (التي كنا نخبأها هناك
نخلع سروال التحفظ ليغفر فاه الدهشة
حرصنا المستحيل أن لا يراها أخوة أصغر ،)بحكم الوصاية (
...كانوا دائماً يعرفون الطريق إليها
يشمون رائحتها ككلاب مدربة
لهاث تصلبهم الهستيري كان يقودهم دون تردد أو أي حذر

أخذوا (البسكليتات) التي كانت تدور من حولنا بخفة
عليها فتيات كنا نستهجن اعتلائهن الرشيق ذاك
نهز رؤوسنا الصغيرة بأسف و نحن نتصور انهن سيمزقن بكارتهن التي نحلم فضها مثل ثيران
المقاعد الجلدية المدببة تلك لدراجات هوائية غبية
كانت تندس أعمق بدون تحفظ
....تأوهاتنا التي تتفحم من الغيرة
تنخلع قلوبنا لحظوظها التي لم تبذل فيه أي جهد ، لتنال ذاك المجد المستحيل

نص
هذا و بصفقة واحدة ... ماتت دمشق
أطفئت أضوائها كلها

زرعوا في طرقاتها حواجز الصمت
انتشر العسكر هناك
و صارت اللهجة الهجينة تعلو بأحرفها التي نعي رعبها
تمتد أطيافها كلما إلتوت أكثر ، و لبست ثوب المهانة
و التنكيل

هكذا بصفقة واحدة
انهارت سماء دمشق
بكى القمر طويلاً حينما فقد حذائه الضوئي في مكان ما
و صار الجبل الهائل عجوزاً فجأة
خَرِفاً ، و مزروعاً بالذعر و العسكر
ظل القاتل الهائل فوق...
اعتداده الذي يجثم تحت
ظلال قدميه التي تمتد ...أسفل
هكذا و بصفقة واحدة
غابت دمشق من المشهد
لم نعد نسمع أصواتنا
أو نتعرف وجوهونا
صرنا نتلمس كعمي ما كناه
و نفشل كل مرة في التعرف علينا
أو إعادة محاولات يائسة لا تفضي لأي نجاح.

#

إدفنوني معه
لا تتركوه وحيداً
قد يصحو فجأة
قد يطلب ماء
إدفنوني معه ...قد أهدهد خوفه إن صحا....
و قال يا آبتاه ...إني أختنق
،
هذا التراب الذي قرأته في النشيد ثقيل عليّ
هذا الوطن الذي قلتَ كم هو واسع
لا يتسع لكلينا الآن
يا آبتاه ...احضني بقوة
إني أرتجف من البرد
و هذا الثقب في قلبي
لا يسمح للضوء أن يعبر

ادفنوني معه
أهيلوا التراب خفيفاً ...لئلا يتسخ جبينه
لقد خدعته و قلت له
إنه ابن الشمس
و هذا الفرات الذي أنجب أساطيرنا
سيعيد قصة الخلق جميعاً
لقد خدعته و قلت له ...هذا الطين مُهيئ للخصوبة و الحرث
لم أقل له أنه البذرة
لم أقل له أنه ملوث بأحذية جند ... بأصابع عمي و قلوب مطفئة
و أن هذه الأرض تنجب الذئاب أيضاً

ادفنوني معه ... إنه يخاف العتم
يخاف هذا الوطن القليل
هذا الجرح العميق
كان مبكراً جداً أن تفهم أيها الصغير
أن الكبار قتلة
و أنهم لا يمزحون البتة
و أن الشهادات التي يعلقونها
لا تحمي أصابعهم من مشارط القتل
و إبر الإغتيال
و أن الطبيب ببساطة قد يكون جزار
و المهندس
حفار قبور ... متمرس
كان مبكراً جداً أن يضمدوك بلفافة قلبي
و يرموك وحيداً هناك

ادفنوني معه
أي وطن رث لا يتسع له
أي سماء موصدة لا تصغي لبكائه
أي إله يقف على الحياد

ادفنوني معه
هذه الطلقات التي اختبأت في قلبه من الخوف
ربما هي أرأف
و ذاك النحاس الذي ثقب قلبه
ربما هو أحن
لقد خدعك أرنب الشاعر ذاك الذي يقفز بعيداً عنك ، و يرسم وطناً بالألوان لسواك..
و علماً للطائفة..
و أماً لا تشبه أمك..
و عائلة غريبة ... ليست نحن.
لقد خدعناك جميعاً

و تآمرنا على براءتك
هذا وطن من موت
من أصابع تطلق النار بثبات
بسكين لا يرتجف
بشعراء يرّوجون أفيون القاتل و يقفون في صفه
و ينامون في سريره
هذا الوطن ضيق و تافه و حقير
لا يستحق وردك ، و لا ضحكتك ، و لا طائرات الورق التي تصافح الله
بابتسامتك العالية
هذا الوطن أيضاً أنجب كل الضباع التي افترستك
و الرجل الذي صفعني أمامك
و العنصر الذي دفع أمك
و الولد الذي أخذ مقعدك
هذا البلد للحقد و برسم الدفن

أهيلوا التراب

أهيلوا التراب

أهيلوا التراب

#

أرجحة

———

فخخ طرقات الناس
بخطواتك
أطلق رصاصك الغزيز على أحصنة وثوبهم الجامح
اصطد قلوبهم التي ما عادت تخافك .... بقناصات الرصد

تتبع لهاثهم بأشعة هذيانك المحموم
أسكت قلوبهم بلغم
كي يكفوا
اخلط أشلائهم بالهواء
و دع الله ينخرط بالدمع معهم
كي يغفل عنك !..

رد موجهم عن شاطئ خسرانك
اربح لملمة جثثهم لدقيقة ،
جديّ انشغالاتهم...
لثانية.
اشتري ما تبقى لك من وقت
في روزنامتهم التي قطعوا ورقتها الأخيرة
و لا تريد أن تصدق
أبداً
أرجحتها التي تتهاوى أمام عينيك.

#

أشتاق لقتلك بقصيدة
كما منذ سنتين
لا شيء يشفي غليلي منك إلا الكلمة
دفنك تحت هائل اللعنات

مثل أولئك الراقصين في طرقات المدن في الشمال
أهازيج أحياء حمص التي قدمت قربانها حناجر
مثل أظافر أطفال درعا
أحتاج أن أؤبنك بنكات كفر نبل
بإلتماع عيون أطفال بنش
بدموع أمهات حزانو
بوجع داريا العميق
أحتاج أن أطويك من الذكرة
و بسبع موجات من النسيان
أهيل عليك
باقات الدفن

#

أعد مسروقاتنا جميعاً
أعد أحلامنا
أيامنا
أفراحنا التي اختلستها
أعد كل ابتساماتنا التي اغتصبتها بالغدر و خفة النشل
أعد لنا كل ما سلبتنا يا لص
قبل أن تغادر كوم هنا على الطاولة ... كل غنائمك
أفرغ جيوبك كاملة
فأمامك حساب طويل
أمامك فواتير مستحقة الدفع
دموع جدات وأمهات يندبن أولاداً لن يرجعوا أبداً
من سجنك الطويل
ضوء عيونهن الذي خفت ... و راح...
تنهدات الأباء...زفرات اختناقهم
ذعرهم على كرسي التحقيق معصوبي الأعين
و كف الإهانة الذي يرن

أعد لنا أيامنا التي ابتلعها وقتك
الطرقات التي اختلستها من أقدامنا
الأحلام التي قوضتها فوقنا

قبل أن تغادر
مثل كل اللصوص المتمرسين
أخرج الشفرات الت أخفيتها طوال الوقت التي تسلت بشريانينا
سكاكين الغيلة
كل الأدوار التي ضللت الجمهور و أنت تغمد سيفك الحقيقي في منتصف
الصندوق الذي أخفيتنا
أيها الساحر

#

أعيدوا دمشق إليّ
اكتظاظ الطرقات بالناس

نحاسها الذي يرن
نحاسها الذي يرحب
باعة يعرضون طرائف لطفهم تتحرش العابرين
عطر ابتسامات تخفف عناء يوم طويل
كيف كنا نغافل رمضان في العتمة ، و الظل
نسرق حبات عنب ،
نرتشف ماء متسّرع ،
نسترق قُبَلْ
و .... نستغفر بحرقة آخر المساء.

كان الله يرى ،
كان الله يتفهم
دمشق تلك التي كانت قبل أن تموت
قبل أن يستولي عليها أحد

#
جرح

———

حسن جداً
أنا اشتقت لسينما الفردوس
لصور (إغراء) تتعرى بفخذين هائلين و عينين من توسل معلقة على جدران سينما الأهرام
للعسكر الذين يسترخون على المقاعد الخلفية يوم كامل و هم نيام ببدلاتهم الأكبر من مقاساتهم
وجوههم الريفية الجميلة
و أحذيتهم التي بلا أربطة حقيقية
رجل (لبيل) يدقق في العتمة عما يمكن أن يحدث ... و يحدث طوال الوقت
اشتقت للفقر الذي يسير متمهلاً على أرصفة الشام
لمرايا الحلاقين
ملابس بياضهم

انعكاس العالم في مراياهم ...نقاء بلجيكي خالص كحدقة عين واسعة
لطقطقة مقصاتهم ...عشرين منها في الفراغ للدوزنة و واحدة في منتصف الهدف
اشتقت لأول فيلم تركني أبي فيه في صالة معتمة لم أخافها
لأول إمرأة عارية تماماً تنام مع رجل ... لمستْ له جرح ملتئم على الصدر في حديقة منزلها قبلاً ..لتنتهي معه أخيراً متقلبة على السرير
لباص القصاع...
(الكولبة) الخشب مقابل القصر العدلي
جداول مرقمة و أوراق لتدوين عبور باصات الأرض
قلم (البيك) الأزرق خلف أذن أبي
(قيصر) الذي كان له (إرّ) هائل و نظارة طبية (كعب الفنجان) .... كنت أدقق في ضخامته المفرطة طوال الوقت ... متناسياً ضحكاته الهوجاء التي تحتمل سخرية الجميع الصاخبة والفجة ... تلفت كل المارة برعونتها ... و لا يكترثها ...هو
لملابس أبي الرمادية ..لخطواتي المتعثرة التي تتعقب خطواته الواسعة
يده التي لا تفلت يدي ... و ما زلت أعتقد إلى الآن أنها فعلت

حسن جداً
اشتقت للمباني الحجرية البيضاء
للناس الذين يعبرون تحت فحيح شمس خانقة
كيف أنسل بخطوات واسعة من بين جموعهم لألحق حلماً مستحيل
اشتقت لزجاج محلات الصالحية ... ألمس بأصابعي الفارغة كل ذاك الإمتلاء و الغنى الأنيق المتراص والمعلق على خيطان شفافة كوهم
لبلاط الأرصفة
لحنفيات الماء البارد التي تتدلى منها طاسات النحاس برنين الفضة
(لبسكليتات) المراهقين التي تتمايل مع أجساد ممتطيها .. تعبر بين الناس كفهود رشيقة تاركة رذاذ ضحكات العبث و إلتواء كلمات تغازل المارة كي يفسحو
اشتقت لظلال الحميدية ... ثقوب سقفه حيث يرمي الله ليرات من ضوء على رؤوس المارة ... عينان تشخصان إلى الأعلى بنقاء مريمي و تنتبه دائماً إلى الجانب بمكر حيث ملابس الراقصات معلقة بألوانها الصاخبة التي أخالها تتحرك و التماعاتها التي تخفق .. تجاورها ألات الموسيقا الماجنة ..الدربكة و الرق ..بطن مكشوف ، و أرداف تهتز تسخر من (طرابيش) عثمانية حمراء مشنوقة جوارها ، و غير متقنة تثير الضحك.

اشتقت لرغبتي بمحو عبارات مضجرة لطالما احتلت الجدران
...كشط صور لرجل له جبهة متورمة و مرمي في ملامح ميتة لا تشي بأي شيء ،
لزحام (الميكروات) الذاهبة إلى المخيم
الأجساد المتلاصقة ، و رائحة العرق
لمشاهد (بورنو) عابر بين امرأة و رجل في زحام تستطيع أن تميز فيه شهيق يرافقك إلى السرير ألف عام

اشتقت للفقر الذي لمنا في قبو معتم
كراكيب و فوضى .. أسرّة تعتلي بعضها البعض
مرآة عرس مصلوبة وحيدة على الجدار
و أمي بهالات تعبها منفية في ركن معتم على كرسي منخفض تطهو للكون وجبات صبر لا تنتهي
و أبي .... مارد يعود من عمل مجهد
يرمي خواتمه العقيق على سطح البيرو المُصدّف ، مع ساعة هائلة بعقارب كثيرة لا تعرف أيها يرصد الزمن ، ذاهباً إلى نومه الطويل ... لأنسل على رؤوس أصابع حذري حيث جيبه الواسعة .. ملتقطاً ليرات فضة أكبر مما هي في الواقع _ هكذا تخبرني ذاكرة اللمس العمياء _ ... تدس فرحاً مواز في قلبي الـ يخفق مليون ضربة بالدقيقة الواحدة ، مع ابتسامة ظفر أخيرة هي بين الخوف الرهيب و أقصى الفرح.

حسن جداً
هل يُعيرني أحد عمره
هل (يُدّينني) قلبه
يديه
قامة قصيرة
و خطوات أقصر
سأعيدها كلها .... أقسم
.
.

ممممممممم .... ثمة ثقب في حذائي
حاولت أن أخفيه من المشهد ....آملاً أن أحداً لم ينتبه له
أو تُظهرّه الكاميرا ..._ كان عاري لسنوات طويلة_
و الآن أحنّ لملامسته معزياً وحدته ... لمسهِ كجُرحٍ مُلتئم.

#
البيضا .. القصير .. ؟

هل تكفي التراتيل
هل تكفي الآيات
أنزلوا المسيح عن خشبته
اعطوا للحسين جرعة ماء
أيها القتلة الأتون من جنون خوفهم
من حقدهم .. غطاه زرنيخ الغل و الغطرسة
إعطوا فرصة لنا أن نتشهد على قتلانا
إعطونا فرصة أن لا نكرهكم أكثر
احموا أطفالكم أكثر ... بقتلنا أقل
إعطونا فرصة كي نقول ثمة خطأ
لا تدفعوننا إلى هاوية الذبح
أيتها الكائنات المجهرية القلب
أيتها السحالي والزواحف التي تأخذ هيئة السكين
أيتها البلاد التي ليست لن ولم نعرف
أيها الجنون كله
هبنا كل احتمالات المستحيل كي لا ندرك
كي لا نرى
كي لا نسمع
أيها الله الذي أبيضّ قلبك هذا الصباح
...فقد الكثير من الدم
هناك
في قرية صغيرة ..صغيرة جداً قرب البحر

#
الطابق الثالث
....

أصحو الآن
تصحو البلاد ببطء
الدمار الذي يعلو قليلاً
دمشق التي تنخفض أكثر
تصحو أمي بثوب الصلاة
تقرأ السبع المُنجيات ... و تنفخها على الشام ... من الطابق الثالث

و تمسح صدرها بأكف البياض
تصحو الشرفات الحذرة،
الشجر الذي يهتز بريبة ،
السكون الذي يتجول ،
رائحة الورد الغامض ...يدّوخ الأرصفة
هذيان الصمت
يصحو قلبي الآن...
أرمي حَبَ الأمل من النافذة
لتجتمع كل العصافير .

#

ألوح للعالم
لآخر مرة
أسقط في السر

لقد احتملت حرباً أخيرة ولم أصرخ
ألوح للعالم .... هو الان في القيلولة
يسترخي في أرجوحة يومه
ومزاجه العام غير رائق لهكذا ضوضاء
أنسل على رؤوس أصابعي
أتصبب بالذنب
وأصابعي تلتمع بالهزيمة
أخرس من شدة الارتطام
انسحاب الهواء دفعة واحدة
تجمد دم الوقت
أرتجف .....سمك معروض في مول فاره على مخدة ثلج
لا أعرف من أين يأتي احساسك بالتهاوي
كأنك فكرة لها ألف مبرر كي تمحى
و تقل

ألوح للعالم
و أعتقد أني أتصبب من الندم
وشجر الذنوب ينمو أسرع
أسرع
أسرع

كهيجان

#

إلى مرام المصري
....

نموت يا مرام لأننا لم نحتط كفاية
لم نشم الورد بشكل جيد
لم نثبت الصور
لم نقبّل الجدات
لم نقرأ الشعر جيداً
لم نشرب القهوة كفاية مع من نحب
لم نصفع من داس على سجادنا القليل ، بقدم كثيره المعتد
ربما لأننا كنا طريين حين يجب
قساة حيث لم يكن من ضرورة
ربما
ربما

#

إمرأة هائلة الطول
2 فبراير، 2012، الساعة 06:16 مساءً
ليارا صبري
كيف للأم أن تجوب كل البلاد

بمريول خوفها الواسع
و كفها التي تلوح لأبناء لا تعرف
إن كانوا سيعودون هذا المساء

هي أم
تدور في شوارع المدن
و يعلو ثوبها القروي الأسود غبار المسافات
لعل ابن اختطفه العتم
لعل بنت ... صدقت النشيد

هي أم
امرأة كاملة من ضوء
تمسح بأكف بياضها
شاشاتنا بيد السؤال
هل شاهدتم ولداً ....لم يعد هذا المساء...؟
: _ هل مر جواركم ...بقميص أخضر وعشق مزقته عشر طلقات
: _ واحدة كانت بالرأس
تقول مستدركة... ؟
و تمد ببقعة دم على تجعد منديل حسرة
:_ هو ابني ...الذي لم أنجبه قط

تقول لسائق الحافلة السمين الذي لا يكترث
و الممرضة التي تشيح دامعة ...بوجهها
و المدرس المشغول بالمعادلات
و الجدة التي تأخذها على حدة
تهدهد جزعها بالبسملة ، و تقرأ السبع المُنجيات
على رأسها المثخن

هي أم
هي أم
بشقوق قدم حافية ، و رائحة قمح حوران في (عبها) الدافئ
ترشح بالحليب والأغنيات
يسيل من قلبها (كرم زيتون) كامل .. و قصيدة
لشاعر أندلسي ترك وصيته
اختفى ذات فصيل إعدام
و قمر مطفئ
و.... لم تصدق موته بعد
اسمه الأول (لوركا)
تضع صورته الملفوفة بسيلوفان الدمع في جيب حزنها العميق
و إبر لحياكة الجديد
خيوط لرّتق الألم ،
أزرار للحماية ،

و رقع للضم
خريطة مهترئة للبلاد التي عبرها الجند ... مُرغمين
تصعد لاهثةَ طرقات البعيد
تطرق الأبواب جميعاً
بكف لهفتها
:_ ابني محمد .....هل عاد ...؟
تتسائل دامعة
تهز النسوة رؤوسهن المثقلة
يتشاغلن بسنانير العجز
:_ وعلي غاب... يقولون مرت عجلات الغريب قلبه
فـ... يغص الجواب
:_ إن رأيتموه أخبروني ..؟
:_ إن شممتم عطره..؟
:_ أو سمعتم خفق قلبه ؟
:_ أو لمحتم .. طيفه.. ؟
:_ أو خيط من كم فتنته... ؟
أو خصلة من صهيل حصانه المُعتد ...؟
.....
هي أم هائلة الطول
بقدمين حافيتين .. و قلب عار
بيدين تطرقان السؤال
بحجر الإصرار
:_ أعيدوه إلي
أعيدوا للأطفال أظافرهم الممحوة بالذنوب
قلوبهم
الإبتسامات البيض
بريق عيونهم الساكت
صورهم ، ألعابهم
طباشيرهم التي رسمت
وردة
هي أم تلك التي تهذي
لا تصدق أنهم يخفون تحت سجاد الخديعة
كل ذاك الصراخ
و لا تكف عن مسح بلاط الإنتظار

هي أم
تطحن البرغل الخشن برحى المحبة
و تحلب البقر الصبور
و تهيئ المعالف في القرى المتروكة
على حبال الله
ترّتق الجوارب على ضوء الشمع

و تُعيد تدوير الملابس الكبيرة
للأطفال الأصغر
هي أم
تغني للمساءات الوحيدة
وحدها
لا تنتظر إن مر أحد على بابها
أو رمى التحية
تكتب بخرسها المبحوح
صراخاً جريح
بنحيب المطالبة

هي أم ...
حين سنموت يوماً
سنطمئن
هناك من سيضع الورد
هناك من سيمسح الصور
هناك من سيوزع الخبز على الفقراء
هناك من سيتبرع للأرامل بالقلوب
و على أرواحنا المتعبة
هناك من سيقرأ الفاتحة
و يهدي (ختم القرآن) لنا
و يرجو الله العظيم ... أن إغفر
هنالك من سيدور على كل مقابر أولياء الشام
و يربط خيط وفاء على نوافذ وحشتها
أو يشعل شمعة
أمام صليب مكسور

حين سنموت سنطمئن
أن هنالك أم
ستحمي أحلامنا بسياج دعواتها
و ستطالب
بثمن الدم
ثمناً غير قليل
؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛؛

#

أنا أضحك يا (ماريانا) حتى و أنا أبكي الآن
هذا الوحش الذي يطردنا من بيوتنا
هذا الغريب الذي يخترق البلاد من خصرها الطري
وأنا ألملم أشيائنا الفقيرة من تحت الرماد
و أنا أموت يا ماريانا
لم يستطيعوا أن يقدروا عليّ
ولم أرفع يدي الإستسلام
و هذا (الفرانكو) المتعثر ... لا يجرؤ إطفاء الورد المشتعل في قميص نومك الموسلين
أنا اضحك يا (ماريانا) لأن هذه البلاد لنا .. حتى لو متنا
ونحن من صبغنا حنائها و شيبها الموشى بالحكايات
وهذه الدمشق جدتنا لن نتركها وحيدة للنعاس والضجر
فقط يا (ماريانا) جزء منا فاسد و يسلمنا لغريب
جزء منا لا يقوى على الحياة ...يسلمنا للموت
جزء منا صامت .. و يتشاغل بلعبة أن لاشيء يحدث هناك ...
و هذا جائز قليلاً يا ماريانا
سننتصر كما كل مرة
و سنعيد بناء بيوتنا الطين بأكف فلاحينا
و أقدامهم العارية في مساكب البلاد للماء و الشمس و الوفرة
ستخفق تنانير الفرح بسيقان الرقص
و سنغني ألف كمنجة من جنوب جبال زاغروس حتى سهل حوران

أنها بلادنا يا ماريانا
و هذا (الفرانكو) لا يدرك لحسن الحظ كل ذلك

#

أنا وفائي ليلا....

27 يناير، 2012، الساعة 01:58 مساءً

أنا وفائي ليلا
أحلم دون صفعة
دون قبعة الأوامر ،
دون اصبع التهديد ،
دون الأقبية ،
...والطرقات المفخخة بالأسئلة .
أحلم ... بالأجوبة السهلة ،
والإمتحانات التي لا تهرس القلب
أحلم بالسموات الواسعة ،
بالأنبياء الطيبين ،
بالآلهة التي ترّبت على أكتاف الناس .
أحلم بالوسائد ،
و النساء اللاتي
يرسمن الفَراش
على مخدات الوهم
بالأمهات اللاتي ينثرت اقحوان بياضهن
يطبعنها برفق
على جبين الأرق
أحلم ... بالمدن التي تحتفي
و تخفق بالضوء
بالقرى التي تخبز الكرامة
بتنور العدل
وتحرث الخصب
في أرض الصعوبة
احلم بالينبوع ،
والزهرة .... بالشمس ، والأغنية
أنا .... وفائي ليلا
بلا جنسية..
و لا وطن
و لا اثبات قيد

و لا عشيرة تدافع عن قلبي المهترئ
مثقوباً ... بالمطارات الواسعة
التي تمتحني
و تُصدر صوتاً ...ضابطة قلبي
بليزر ريبتها....

أنا وفائي ليلا
الذي أُخترعتُ له
كل تلك الطرق
و كل تلك المدن
و كل تلك البيوت
و كل تلك القصص
العلامات التي قوضت قلبه ،
الدموع ، والمآسي التي أقلقته ،
الخيبات الصغيرة والكبيرة ،
المصممة بالضبط
على قدر قامته
الأفراح القليلة التي نادراً ...ما صادفته
المفاجآت التي كانت تحدث
و غالباً من النوع القاتل
أنا وفائي ليلا
أطالب بإرجاع كل شيء لي
و إسناد كل أمر يخصني
إلى استشارتي
فقد غُيبت طويلاً
و أُخفيت طويلاً
و طوردت كثيراً
و لُوحقت أكثر

أنا وفائي ليلا
أشاهد شاشات العالم بحسرة
و ألعق أصابعي
نساء العالم ....
و أشير بأصابع الخمس
إلى وجهي الفاغر
أطفال الكون
و أتحسر قائلاً
أيّ رثِ أعيش.

أنا وفائي ليلا
الذي أعدوّ مُذْ وعيت
من خوف .... إلى خوف أكبر منه

أديت خدمتي بإمتياز
و دراستي بتفوق ،
صداقاتي .. ،
زواجي ....
مثالي ... حتى العظم
رضى الأهل ... والأقارب ،
والجدات
بدرجاته القصوى
أكبر
و أشب
و أشيخ
دون صوت
....ترن في فناءات عمري
ابرة الإمتثال.

أنا وفائي الذي لم أنبس
أخفيت صوتي
و وجهي
و قامتي
في جيبي الخلفي
أبرزت هويتي
حيث لا يجب
و كشفت أوراقي عارية
لكل من طلب
و فخذي خصوصيتي لكل من أعترضني
بالسؤال

أنا وفائي الأبله
الذي صاغراً عشت ،
صاغراً كبرت ،
صاغراً تنفست ،
صاغراً انتخبت ،
صاغراً نجح سواي
و... رسبت
أنا وفائي لذي لا أطالب بشيء
و لا أحلم بشيء
و لا أرغب بشيء
لن أثير الضجة لأحد
أترك الحياة
تأخذ ما لدي
بعد أول عراك
و أستغني عن مقعدي المفضل

لأي لص عابر
و أرضخ منكسراً
لأي صوت
ساحق الخشونة

أنا وفائي الذي يتحول بصفقة واحدة
إلى كرسون لبق ،
أو خادم مطيع ،
أو قاتل محترف ،
أو انتهازي بارع ،
أطالب بمدينتي كاملة
بكل ما فيها
بشحاذيها ، ولصوصها ، وعاهراتها
أطالب بأطفالها الحفاة في الحدائق العامة
بالنساء المجهشات ضياعاً تحت جسر فكتوريا
على ضفة نهر متردد
أطالب بأزقتها التي يختبئ الظل في انحناءاتها الخائفة
ببيت (أم عربي) جدتي ... بليوانها الصغير
و ورودها التي تحتل صدر الكون
أطالب بالداكونة المُعتمة
ومدفأة الحطب التي تتقدّ بجمر لا ينطفئ
أطالب ببيتنا في (ركن الدين) ....اخترقته جرّافات الدولة
ذات تنظيم كاسح
أنا وفائي ليلا ....
لا مطالب كبيرة لي
بعض الذكريات
و رصيف
و عائلة
صوراً بالأبيض ، و الأسود
و مدينة تجرّ خلفها يتاماها....
مدينة كبيرة تصلح كملجأ ،
أو مصح نقاهة عقلي
لا يكفي كل هذا الجنون ...!

#

انتصار

2 مارس، 2012، الساعة 10:30 صباحاً

انتصرتم ... و هزمتمونا
اغسلوا الطرقات من دمنا...
...امحوا بصماتنا عن فضاء الصرخات
نظفوا أصابعكم من هباب أرواحنا
ألبسوا العيد إلى أولادكم ليهنئوا أكثر
كدسونا في ثلاجاتكم جيداً
احتفظوا بجثث بعضنا للشتاء القادم
قد تحدث مجاعة عندكم ..!
اصنعوا الحلوى
ببريق عيون الصِبية ،
زينوها بخرز ابتسامات الصغيرات
و ارموا الأرز على هامات مقاتليكم
اقتلونا بنا ،
بأولادنا ،
بمالنا ،
بأمالنا ، ببراءتنا ...
اقتلونا كي تبقوا أكثر

آمنون في حضن الإنتقام
ترتعشون في جحور الخوف
ترمون في طرقات وحشتكم كل ذاك الدوّي كي تناموا

لقد انتصرتم جيداً
أطفالنا كما ترون ...ثُقبت قلوبهم
و نسائنا يزحفن على أربع
اثر أكفان تنسحب إلى عتمة الموت
رجالنا كما ترغبون ... قامات تنهار على طول ارتفاعها
أشجار تهوي في حناجر خرسها

لقد انتصرتم
هاهي قلاعكم تشرق بأضواء الغيلة
و حصاركم أطبق أساوره ..جيداً
كدسونا في الحافلات
جرونا من أقدام اغتيالنا
حاربوا الجهات الأربع
حاصروا الهواء الذي يختنق بكم
أطفئوا الشمس إن استطعتم
لقد انتصرتم
هزمتم البلاد كاملة
من جهاتها الأربع
النساء جميعهن ،
الجدات ،
القرى المُعلّقة بتنهيدة الإله
ها نحن قتلى
و أنتم في أسرّة الإنتظار

قد يأتي الموت متأخراً بعض الشيء
.....الخوف أشد منه
و أقرب

#

أهيلوا الماء على أطفال دمشق
لعلهم يصحو
أهيلوا الماء ... على وجه اختناقهم ... انتفاضهم على أرض الغيلة

انخلاع قلوب الأمهات
أهيلوا الماء العالي
اغسلوا أرواحهم التي تسلم لله رقيق فتنتها
جدائل الفتيات على الأرض
أفواههن التي سمك يختنق
عيونهن التي تشهق طالبة قليل من الهواء
أهيلوا الماء .... ماء دمشق كله
على سيقان عذوبتهن

الأولاد مُعلّقين على أبواب نومنا
الأطفال ينتفضون في أسرّتنا

اسكبوا ماء الحياة
على هذا الموت
لعلهُ يقلّ
اغسلوا رئات الإختناق
بدموع ورجاء الأمهات
لعله ينسحب
يا الله ...كيف احتملت إطفاء قلوب الأطفال تلك
كيف طاوعك قلبك غض أعمارهم الصغير
دون أيّ إرتباك
...كم ملاك سقط من علياء حياده
حين أغلق للأبد تلك الجفون التي غافلها الموت

اسكبوا ماء الصحو على غيبوبتنا
أيقظونا مما وصلنا إليه
اسكبوا ماء الحياة
على جروحنا التي غلاصم تتناقص تقلّصاتها بإضطراد
و تهدأ

...مُلتمعون كانوا على أرض الموت
مُلتمعون كسمكٍ بريء مُلقىً في فضة سكونه الأخير
مُلتمعون على بلاط بارد ...لا يرأف
بثوب النوم
و بقايا النعاس المعلّق
بنصف حلم انقطع
بشفاهنا التي فشلت أن تُعيد تنفساً أخفق

اسكبوا ماء الحياة على عجزنا
لربما يصادف طفلاً في نزاعه الأخير

و ..... يعتذر.

#

أولاد الجيران
....

سنذهب الى العيد
لن تمحو أيامنا بسهولة
ولا ضحكاتنا
لن تمنع الساحات و مراجيح الطفولة التي تذهب الى الله بدفعات كل مرة ... أقوى
.

لن تمحو أيامنا بسهولة
نحن نمتد أوسع من مرضك
من هستيرياك
من جنون عظمتك
من عناقك أطفالك و أمهم معتقداً أنهم كل الآخرين
أيها الأناني و الضيق و المريض...

سنرسم البلاد أوسع
بعيوننا الزرق
بعيوننا الخضر
بدمنا العسلي
أيها المأفون أسير رعبك
سلس مخاوفك
عائلتك التي تحيا في قبو اختناقها فقط
سلالتك التي لا تجرؤ الشمس
أنت قليلنا
الميت
أصفرنا الذي يذوي
تساقط ما ليس ضرورياً

و ما يجب أن يموت.

لن تمحو ضحكات أطفالنا بكم محوك
سنركض بلا أقدام الى حقولنا
بلا أذرع لنعانق الشمس
الضحكات التي تحاصرك ... فتتلفت برعب ... و تطلق الرصاص في كل الإتجاهات
أيها الأخرق في روحك
نحن الكثيرين عليك أيها القليل
الجميلون أكثر من بشاعة قلبك الميت
سنقتلع كل هلعك الذي تترجمه راجمات حقد
سنطفئ أيامك برقصاتنا في ساحات حمص
ستدور نواعير حماة ليمشي الزمن دونك
باقٍ أنت على رصيف جريمتك ، و زحارك ، و هوائك المختنق
باقٍ أنت خارج الأيام و الآتِ و كل ما سيخلو منك

...تذّكر و أنت تتبول على جدار أهلك
أنك لن تنجو بفعلتك تلك
تذّكر و أنت تفتك بأولاد (الجيران(
أن أولادك هم الهدف.

# #

أين
أين
أين
أين سأُخبئ فساتين أمي ... ؟
عطرها المُفضل الذي عادةً ما تمنحهُ للأخرين
أين سأخبئ عينيها المُطفئتين ...؟
بالغَ أبي في التسبب بغبشها الدامع.

أين سأهرب ببيتي ،
و ذاكرتي ،
رائحة اليانسون ،
كمادّات الثلج بالخل على جبينِ الإلتهاب ،
مغاطس الماء الساخن ،
فخذ الطمأنينة حين أسند رأسي.
...لا بد أن الله سيوجه الطائرات (بردارات) حرصه
لا يمكن له أن يُمعن بموتنا مرتين
...و إلى هذه الدرجة .

يا إله الأشياء الصغيرة العظيم
أرفق بأوراقي،
صور عائلتي بالأسود و الأبيض ،
مكتبتي ،
ثلاجتي التي تخبئها أمي لعرسٍ مُفترضْ
أساورها التي سَتَهبها كلها لعروسٍ تخترعها كلّ صيفٍ لي
أين سأفرّ بذكرياتي و أوهامي ، و تجاربي ، و خدعي ، و هلعي ، و أصدقائي
و كل ما ارتكبته من معاصٍ لطالما أصررت عليها رغم جُبني الأكيد.

يارب الطائرات التي لا تعرف لغتنا
و لا طرق الشام المُتعرجة
و لا قبر يوحنا المعمدان،
و لا رأس الحسين،
و لا قبر صلاح الدين
و لا نوافير (البحرات) في بقايا دمشق التي قضمها العسكر
أرشد طائرات الغريب إلى قلب الطاغية فقط
هذا الشقيق السيامي الذي يتنفس معنا لا يستحق الحياة
نصفنا يحتاج لأيد بارعة

و قلب رحيم.

#
بدموع أمهات (حزانو)

لا شيء يشفي غليلي منك ... إلا الكلمة

دفنك تحت هائل اللعنات
مثل أولئك الراقصبن في الطرقات البعيدة ..
أهازيج أحياء حمص قدمت قربانها ... حناجر
مثل أظافر أطفال درعا

أحتاج أن أؤبنك بنُكات (كفر نبل)
بإلتماع عيون أطفال (بنش)
بدموع أمهات (حزانو)
بوجع (داريا) العميق

أحتاج أن أطويك من الذاكرة
و بسبع موجات من النسيان
أهيل عليك
باقات الدفن

#
بول
___

لن نموت ... يقول جوان صديقي الكردي بثقة و يسحق تحت قدميه سيجارة تردده) ...لم يكملها لأول مرة) ... أهز رأسي واثقاً..... لن نموت ... لن يطفئ التاريخ بنفخة واحدة ..و لن تمحى الشوارع و الذكريات ببساطة...
لنا الأرض .... و العابرين لهم خطواتهم إلى كل البعيد الذي يستحقون ...
باقات الثوم الذي يسند رأسه بتعب بياضه على الجدران و سلالسل البامية التي تمتد أطول دائماً ، و الرمان المجفف يرق أكثر و يلوذ بالسقف ، صواني المشمش البرتقال ، و (مية) البندورة التي تذرف الأحمر ... النحل الذي يلدغ شاش الأمهات الرطب الذي يمنعها الغزو ...سقوف دمشق المائلة الطين ..مزراب الفقر البسيط وحقائب المدرسة الجلد و الأحذية المثقوبة....

ليس ببساطة.... يستطيع أن يهزمنا هذا الضجيج الذي يرتدي قبعات مجوفة لرجال يرن الصدى و العواء أرواحهم ...نشالو المدن الفظي القلوب .
لدينا أمهات كُثر بقدر الأدعية ، و آيات القرآن ، و الأيدي التي تمسح على الوجوه مغمضة الأعين و مشرعة القلوب ...لدينا نوافذ كثر و حمام يتسع قوس انحنائه في سماء الله الرحب . لدينا طيننا الذي لنا و بيتنا المائل قليلاً ، و لدينا مائنا ، و خبزنا ، و دهاليز بيوتنا و رطوبة أرض الديار تلك ، و ماء الشطف النظيف ، و رائحة الغسيل ، و بكارة البنات اللاتي يكبرن فجأة و يحرجن الأمهات و يثرن غيرة القريبات و حنقهن بجمال اشتعل ورده فجأة كشجر مجنون ....لنا الكثير هنا ... و القاتل لا يملك إلا قبوه التي جرها مع مقتنياته الأثمن ، و طلقاته القليلة ... مكوثه المؤقت الذي يتحسسه كلغم طوال الوقت .
لن نموت ... لأننا لسنا كراسة لوزارة السياحة ، أو منحوتة في متحف رأس رجل لا يجدنا إلا تراث ، أو بساط خرق ملون يعلقه كيف يلفت رؤوس مرتاديه ، أو حائط طيني يبكي عليه أمام السياح أمام كل الرعونة تلك و الفجاجة التي أرادت أن تمحو التاريخ بجرة فقر ذهني مريع ، و عوز روحي تنقصه الرأفة .

الأرض لنا ... نحن بناة كل ذاك الذي يتغناه الجنرال حين تحضر الوفود عرضه العسكري و يتصورون بجواره ...كل ما ينسبه لنفسه ، و يتبول عليه طفل صغير بلا اكتراث ... طفل صغير يركض حواري دمشق بخفة و لا يتورع عن شيء .

#

تموت دمشق أمام عيني
و لا أملك لها شيئاً
يعشش في أعلاها نسور لاحمة
تترصد الجثث
و تنقض أجنحة عتمة تهوي
دون رحمة

كيف لو يتجرأ أحد اسمك ؟
لون عينيك ؟
المساحة المخصصة لك في هذا العالم ؟
جدتك ثريا و(ملايتها الزم (،
كندرتها التي بلا كعب
جوارب أمي عن طاقين التي تلح ... (ستي) أم عربي
خجلها المكابر
شقيقاتك المتعثرات بخيوط براءتهن
بيت الجيران
الكرات التي تسقط على حين غفلة بأرض (الديار (
النوافذ التي يكسرها حجر طائش لا أحد يعترف من الأولاد من قذف
فيضيع دمه
رائحة الطهو العميق
)ولي على قامتك يا أميرة) عبارة أمي اثر كل حدث جلل ، لا دخل لها به

تموت دمشق أمام عيني ، زرعوا وركها بالحواجز
حفروا جدرانها و احتلوا أرصفتها
اللهجات الغريبة تحقّق في هويات ناسها
في دفاترهم و أوراقهم و ضمائرهم
رصاص طائش يعبر ذات غفلة
قذائف تمشط يومها بالخوف و الخشية
تموت دمشق ... ولا أملك لها أي خلاص
استولى عليها جُند عُميّ
و قُطّعت أوصالها دون رأفة ، و لا تردد
فقيرها البسيط
المدينة التي مكتوبة بحجر الناس
خطهم الداكن على الجدران
تجعّد عمرهم ...و التعب
المدينة التي تخفق بالألفة
و قمرها واضح في سماء عالية
لا أعلى من سماء دمشق
لا قمر أشد وضوح ينسج غبش ضوئه في عيون تتغرغر بالدمع
تموت دمشق بين يدي
لا أملك يدان لتطوقا
و لا حنجرة أعلى ....كي تصرخ يا الله

#

حصار دمشق

......

سيطلعون لك...
من ازدحام السيارات الخانق ،

من سكين العبارات الحادة لسائقي الميكروات،
من تحت أظافرهم السوداء ...أصابعهم المُلطخة بالزيوت ،والمعاناة.
سيطلعون لك من عيون الأطفال التي تتسائل بخجل وخوف
من ثوب الأمهات الرصين،
حجابهن المتحفظ،
من هلع العجائز المسيحيات و هن يَعبرنْ طريق باب توما بصعوبة
من صلبان الكنائس التي ترمقكَ بريبةٍ أيها الغريب
سيطلعون لك من هذا الحصار الذي تُحْكمه
من بين رتل دباباتك،
من بين صف بنادق جندك الذين جمعتهم كلقطاء كي يحموك
سينبعون من بين أصابعك
من تحت جسر الثورة المنهك بخطوات الناس
من عتمة سينما الأهرام
من رائحة البول العالية في الحمامات العامة
تقشّر صور المسرح الهابط في سينما السفراء الذي استمر عرضه طوال فترة حكمك
من تعب أحذية العسكر المستغرقين في النوم في صالات فيلم يعاد من أربعين عاماً في سينما بيبلوس
من محطة الحجاز التي أهنت ، نزلة الدرجات الى المرجة ، طلعة الجادات اللاهث قرب بيتك
سيخرجون من معاطف الرجال المُتحفظة هذا الشتاء
خواتمهم العقيق الثقيلة
عيونهم المُسهدة بأكثر من وظيفة ... و ثِقل (نتع) حمل الحياة الصعب
سيخرجون عليك من الشرفات الموصدة
تلصص نظرات الناس يرقبون ارتباكك في الطرقات
من ضمات الثوم و الرمان اليابس على جدران فقرهم ... لا طلاء لها
من أسنان النوريات غنائهن في الكراجات الرخيصة ، من ضحكاتهن التي تنتهي عادة بصف أسنان من ذهب
هكذا ..فجأة سيقبضون عليك متلبساً مثل جرذ ...مثل أي جبان ... من أكثر إحتمالات فرارك استحالة
سيتسلقون أحلامك و يهدّونها فوراً
و لن يستغرق الأمر ..الكثير
لقد تدربوا طويلاً على تمرين الأمل.

سيطلعون لك ....صدقني
من نزلة البريد وشحاذيه الكثر على الجوانب
من هرع الأطفال الى أحذية الناس للتنظيف ، يغمسون أصابعهم البيضاء الصغيرة في أسودها الدامغ
لا ماء يغسله
ولا زمن
من مشردي حدائقك ...إلتحافهم سماء هائلة لا تنصت
الأولاد المرميون للإنحراف و الجريمة

تحت تغاضي عيون عسسك المنتشرين تحت جسرك المتصلب القلب
سيخرجون عليك من سلس نهر هائل محوته من الغيرة
من آيات الكرسي المعلقة ... تجهش في كل بيوتات دمشق
من تمتمة الأمهات الغامض و هن يعبرن حواجزك و يرمقن جندك الذين ينخرون الناس بحراب إلتواء حنك ما كان يوماً صديق.
سيهبطون إليك
سيحلقون قربك مع أصوات السيارات ... صوت مزامير الحنق
من المرايا الخلفية التي ترمق كل شيء و تدعي أنها لا تنتبه ...يتابع السائقين سجائرهم بهدوء وهم يمضغون شتائم مع نيكوتين لذة لا تقاوم.
سيطلعون من طرقات المخيم المحتشد بناس لا يشترون شيئاً كل مساء ، من ازدحام الأفران التي تشهد عراك دام كل يوم ، و لمسات حنان غير متوقعة.
من سوق البالة القديم ، من مدحت باشا ، من أخر خط الشيخ محي الدين
سيخرجون عليك من تحديقة الناس التي ترمقك بإستهزاء
من البسطات ، من سبل الماء التي فقدت طاساتها النحاس وبقي الرنين
من ظل الأسواق المغطاة بالعتم الـ يمرر ثقوب ضوء من دهشة ...لطفل تقوده يد الرائحة.
من صوت المدارس الغاضب ، من أقدام شبيبتك التي تزرع طرقات الخلاص بصوت واحد
من جرح الناس العميق ...من حشرهم في علب هذيانك ...مكعبات ألوانك التي تحاول اتساقها دون نجاح.
سيخرجون عليك ...من تعبهم ، مللهم من رتابة جثومك الطويل و حضورك الفقير
صدقني سيطالون قامتك العالية
و سيصعدون اليك
على سلالم لهفتهم
على جدران باستيلك الأملس
من أسفل أقبيتك التي حفرت
سيهدّونك كما بنيت خوفهم
بصرخة واحدة
دون ندم
و لا تردد.

#

حُفنة .... من جُند

26 مايو، 2012، الساعة 01:02 مساءً

بُحفنة من جُند
لن تطفئ عيون الأطفال التي تتهمك
قلوبهم الصغيرة التي تمسك بأصابع براءتها
حد السكين
بُحفنة من جُند
لن تستفرد قرانا التي تنام وحيدة
تحت جنح ليلك الطويل...
وعلى صوت زئير جراحك التي تتكاثر
كل يوم
سقوط أشد
بحُفنة من جُند
لا تستطيع أن تقتل الأغنيات
أو تقتلع الشوارع ....من أرصفتها
أو تشطب خطوات الناس
حرة
يرسمها القلب
بُحفنة من جُند
لا تقدر أن تطفئ النوافذ
أو تشغل تلصصها الحياة
بمرايا الإنتباه...
بُحفنة من جُند
لا تستطيع
أن تهزم الزغاريد
في أعراس الشام
تنهمر رنين
يُسرّع سقطات قلبك
في هاوية الخشية
و التعثر
يُسمر نظراتك ...مشحات ذعر داكنة على كتف جدار احتمائك
كدمات...
بُحفنة من جُند
لن تكف الأمهات عن تعثر عبورهن بالدمع ... نحو قبور صِبية لم يتجاوزا العشرين

قضوا ذات أغنية....
أو تمنع نحيبهن أطفال سكتوا فجأة
إثر رفيف شظاياك
بُحفنة من جُند
لا تستطيع تجميل هذا الكذب كله
اختراع أقواس نصر
و رواة قصص مزورين
و مذيعات فاتنات ... يتلذذن بنعي الناس جميعاً
خطاب معمد بعباءة (عراب) يرفع أعلام قتل سود
في (ضاحية) توحده المرير
يتغنى الطغاة....
بأناشيد ميتة القلب
بُحفنة من جُند
لا تستطيع اختراع سماء
كرة للولد
و أرجوحة
أو جديلة
للبنت
بُحفنة من جُند
لن تلتف على مدينة شاعر عاشق
قتل حبيبته غيرة
و قضى
يبكي ذكراها إلى الأبد
يُسمع نشيجه
نواعير ....في مدن الجوار
بُحفنة من جُند
لن تشطب وشم الجدات
عروق أياديهن المطرزة بالتعب ... نافراً كخطوط
تمتد جذوراً تحت الأرض
لن تطفئ شموع أولياء الله الصالحين جميعاً
أو ... تمزق أخضرهم المطمئن
مُسجى في كف الدعوات
لن تسرق رأس الحسين
من دموع الناس
أو تسطي على عطشه الذي تدّعيه
لتقطع حنجرة النهر
بحُفنة من جُند
لن تمحو بكف غاشم
زيت السيدة البتول
ديرها
الـ حفرت تنهدات الرهبان ... طريقاً صخرياً طويلاً إلى قلبه
تعبر وسطه ساقية

من دمع
بُحفنة من جُند
لن تمحو أعياد الناس
أعراسهم
لهجات تنوعهم ... الألف
صلواتهم الـ تخترع آلهة جُدد
لن تستطيع أن تمحو شجرهم الممتد
محاصيل خصبهم
حقولهم
دوار شمسهم عن الإستدارة
انحناء صفصافهم عن التواضع الملكي
الزيزفون الغيور عن الأصفر المغبر ... الحور السامق كراقص شركسي معتد .... الجوز الأنيق عن العلو والأنفة ...الزيتون و لونه الفستقي منذ ألف عام
لا تستطيع أن تمحو طرق التراب المغبر إلى حقول محروثة للتو بغطيط الصمت ، و رائحة قمح مهروس في بيادر شقر .... أقدام الفلاحين العارية في طين الأرض
بحُفنة من جُند
لن تمنع العشب الذي ينمو في هذه القصيدة
و قلبي

بحفنة من جند
بحفنة من جند....

#

حمص
4 مارس، 2012، الساعة 07:45 صباحاً

اقتلوا ما شئتم
نحن كُثر
... كثر
بقدر الأفلام القصيرة التي نؤرخها هنا ،
بقدر عدد من يسقط منا أمام أنظار العالم على الهواء مباشرة ،
بقدر نقاط الدم إلتي تهرول الى المقابر أو جهة النجاة ،
بقدر المرمين على جوانب الأرصفة ... ننتلشهم بحبال المستحيل ،
بقدر ارتجاف الناس و رقصهم ...أياديهم المرفوعة و بحة الحناجر
بقدر عويل الأمهات و دعواتهن التي ترّج عرش الله بالدمع
بقدر الأطفال الذين ترشون قلوبهم بشظايا اهتمامكم الخالص المحبة .
اقتلوا ما شئتم منا ...
نحن كثر بقدر القهر الذي عشناه بسببكم
بقدر الحزن و الفقر ... وكل ذاك الرث الذي حرصتم عليه...
بقدر الإذلال الذي تتعمدون
شطبنا ، دوسنا ، الرقص على أجسادنا ... بقدر ضحكاتنا التي تشذب خشن هذا الذبح
بقدر عدد الأصابع التي ترتفع مستأذنة الخروج منكم .... عليكم
اقتلوا ما شئتم
مدننا التي تلدها حمص تتزاحم كي تعترض طرقات عبوركم
هذا الدم الذي بخفر يخفي وجه الجريمة بين كفيه
و يهرول دامعاً إلى الغصة ... والتواري
اقتلونا قدر ما تريدون
و ليصمُ الكون قلبه عنا....
هذه الشاشات اللامعة
ستؤرخكم
سيكتب الرخام أسمائنا في غد لن يكون لكم ...
ستُشعل الشموع من أجلنا
و سيعتذر أبنائكم عنكم ...و سيخجلون حين ستذكر الأسماء
اقتلوا ما شئتم منا..
نحنا هنا نحصي أعدادكم قاتلاً .. قاتلاً .... و لا نكترث أعداد الموتى
ندوّن للآت أرقامكم و تفاصيل ارتكابات جريرة صمتنا الطويل عنكم
اقتلوا ... و بالغوا بالقصف
نحن أعدائكم الذين تجرأتم (...)
و تركتم الغريب يتبول ثقة ، وهو يدير ظهره لجداركم

لن نكرهكم

إذاً....
غداً
سنحب أنفسنا أكثر كي لا نتناسل مثلكم
سنعتني بأطفالنا أكثر
كي لا يشبوا كما فعلتم ...
أنتم جزئنا الأسوأ....
نعرف كيف سنبرأ منكم
كثير من الحب ، و البسملة ، و الأمهات
كثير من الطرق الواسعة ، و العشاق ، والأقمار الخضر
كثير من الشعراء الوسيمين سيتآزون لمحو هذا الغبش
كثير من رقصات السوريين يلزم .....
من الهتافات في الأعراس
من التشابك والتقافز على أرض المرح ....يلزم
كثير من القسوة يلزم ...لنقتلع الجرح
نجرّف هذا الصديد الطارئ

أنتم نقصنا الذي حدث
بشاعتنا التي تسربت على حين غفلة
أنتم الوحش الذي لم تتنبه له أمهاتنا ...فقضم أثدائهن الخيرّة
أنتم الصِبية الذين لم يتعلموا الشتل والحرث في حقل الحياة
اخترع قمحها فلاح سوري أول
أنتم الزناد الذي سنضغط اخفائه
أنتم فائضنا الذي يجب أن نتخلى
التطفل الذي يلزم أن نحد ...
السرطان الذي سنحسن استئصاله
بمزيد من الرفق
والتؤدة
و كثير من الإنسان
أيها القتلة .
أنتم مرضنا الذي سنشفى
انتحارنا الذي سننجو
بخطوة الحزم

#

حين ستضعُ هذه الحرب أوزارها
سأعانق النساء في الطرقات،
أقبّل الفتيات،
و أشهر اصبعي الوسطى في وجه كل الصِبية
الـ يزاحمونني طوال الوقت
على المركز الاول.
سأكتب وظائفي كافة
و سأحفظ كل الأناشيد و الآيات،
كل أغان الطفولة التي لم أفلح.
لن أتبول في فراش الذعر كالعادة،
لن أحاول مجدداً أن أهرب من المدرسة
و أسقط في قبضة المدير في المرة الأولى... و الأخيرة
لن أمسّ أسرار أبي في صندوقه المُخبئ أعلى،
نسائه العاريات على ورق اللعب،
بعانتهن السوداء...
و ثقيلهن المثير .
أحجار النرد الغامضة
و صور عشيقاته اليهوديات.

حينما ستنتهي هذه الحرب
سأكون شاباً دمثاً ...
لن أسرق النقود كما أفعل عادة
لن أمارس العادة السرية بإفراط مرعب
سأحاول أن أقنع أمي أني (أقتنعت) فعلاً
أن الصلاة أمر جيد ،
و لا بد يوماً أن أفعله .
ولا يأتي أبداً
ذاك اليوم.
(سأبوس التوبة) عشر مرات كلما ارتكتبت ذات الحماقة التي أكررها بحمق أشد،
سأكلّس مثل عماتي جدران الشام بالبياض
طلاء يلطخنا بياضه الذي يتقشّر ضحكات.
سأدور بطائرتي التي تهدر في مخيلتي (كردورات) طفولتي كاملة

أفتح ذراعيّ
و أقصف أسراب النمل المُعادي التي تحاصرني من كل صوب ، أغمض عيناي و أحلق عالياً .
أسراب (أبو سعد) التي تطير في أفق الله
دوائر تتسع ببطء لتغمر العالم بالرقص

سأُقبّل الزيتون العجوز
و أعانق أشجار الجوز المُترّفع
لن أقبض العصافير النائمة في أوكارها بغتة كما كنت أفعل
و لن أخاطر في بُرك الماء
(سلاطعين) الخطر و أفاع تُخطئ سيقاننا العارية كل مرة

حينما ستضع هذه الحرب أوزارها
سأتاكد أن باب الزقاق ما زال مفتوحاً
و بدفعة واحدة
ينهمر الكون
أن َالشُرفة ما زالت مُشرعة
و أن لوركا لم يمتْ.

سأعبر تواري الحارات الخجول
رائحة خبز التنور على الطرقات
صوت الباعة المرشوش بالأخضر
رائحة إلتماع الماء العميق ، و الحياة التي تتدفق،
النساء اللاتي ينظرن من ثقوب الأبواب،
و من خلف مناديل خجلهن السميكة
أعراسهن،
أقراطهن،
رائحة (عِبهنْ) البعيد الخَدَر .
لن ألعب ألعاب الصِبية غير البريئة
سيكون لي أمهات في كل بيت
سأنقل الأحاديث كوغد من بيت لبيت كي أحظى كقط خائن بالدعم و الحماية
و سأؤلف الأكاذيب حينما يتطلبُ الأمر
أنصت للأمهات اللاتي يتحدثن بصوت أخفض كلما تناومتْ أمامهن
يلكن شراميط يدسها الرجال خلسة
بقع فضائح
في ثوب العائلة العفيف
أعمام سكيرون يقضون نصف أعمارهم في بارات دمشق
و يموتون في النصف المتبقي على سجاجيد الندم ... و طلب المغفرة

حينما ستضع هذه الحرب أوزارها
سأغلق الباب لآخر مرة
و أستريح

كإله في اليوم السابع
سأتابع المسلسلات التافهة
و سأعمل على أن أحذف كل هذا الألم
بضغطة زر ... واحدة

#

حين ستفتحون قلبي
لن تجدوا المدن المدمرة
و لن تجدوا دمشق و بيتنا في التضامن
مصاب بطلقة في رأسه
و يجره الجمهور خارج حلبة الحياة

حينما ستفتحون قلبي
لن تجدوا الرمل الجنوبي للبحر ... قتيلاً
أو المقابر الجماعية التي يتحدثون عنها
لن تلمحوا المدن والقرى التي سواها الجنرال
بعصا هندسته الحاسمة المحو

ستكون هنالك القصائد، و رائحة العشب ، والغبش ، و قطرات ماء و سقف يدلف ، و تبول لا إرادي في صف مدرسة بارد ، و ولد يبحث عن فردة حذائه في حلم لا يفارقة ثلاثين عام ، وبنت تستدرجه الى الطابق السفلي كي يعلوان بنشوة مبهمة ، و كف رحيمة تتقن زحفها تحت ثياب السر ... مراجيح تقذف الى آخر الشهقات
لن يستطيع هذا الدويّ أن يحذف صورها بغباره الذي يملئ الشاشة الآن بهبائه الشبحي .

لن تجدوا سوى حياة كاملة
مسجاة في هذا القبر المزدحم.

#

خمس طلقات

11 يوليو، 2012، الساعة 06:01 صباحاً

أحتاجُ خمس رصاصات كي أموت
كي يموت فيّ كل هذا الحب
كي يغرق قلبي في عُتمة دمه
كي تكف العصافير التي تتوشوش عصر كل يوم أعلى شجر روحي
أحتاج خمس رصاصات كي تموت ذاكرتي
طُرقات الشام
كسرات الخبز على الجانب التي نحملها ونُقبّلها حين تنهرنا الأمهات ... وتقول لنا مُحذرة قَبّلوا النعمة.

أحتاج خمس طلقات تماماُ كي أنسى الشاعر الذي مات وسالت من جُروحه القصائد ،
والجَمَال الذي يرن حين تفاجئني الحياة بِصُدفٍ تدّبرها لي كل حين كمكيدة .... لتشغلني عن فكرة الإنتحار
خمس طلقات لأنسى صوتاً يتجدد كلما قلتُ سأكف
أحتاج لكثير من الموت .. لأكفَ عن التفكير بالحياة

#

دمشق
هذا البياض الشاهق
يخفي برك الدم
و السواد

و صوت القتلة
و طبعات الجنازير على الطرقات البريئة
لدمشق ندف الله
تهذي بالحمى
تبحث عن أكف الأولاد
يقبضونها ليركضوا الى الأمهات
و يفتحون أصابعهم التي خالية
إلا من بلل خفيف
بلل من الدهشة ... و الحيرة

هنا بالضبط كان بياض من حلم
يشيرون بأصابعهم
تُقبّلهم ابتسامات التفهم
و الضم.

# #

دون يد
و لا قدم
نسفتني هذه الحرب
كل يوم ألمّ بقاياي
أستغرب أني موجود
كيف لم تمحوني براميل حلب
كيف لم تتساقط علي كل القذائف التي مسحت بابا عمرو
دون عين
و لا قلب
أرتجف تحت الأغطية
الماء
البلل
كل المخيمات تعصف خيامها في قلبي
تحت برد الله
زمهريره

تقول لي أمي نجلس في العتمة الأن
لا مدفأة منذ سنين أربع
تقول لي شقيقتي أولادي الذين في أي جهة هم موتى
هم جنود عاديون
يحلمون بنسائهم
وسيمون و لم يتجاوزوا العشرين
لمن سأنتصر
أنا أم قتيل واحد ، على جهتين متقابلتين !!؟
،

-:ارسم خارطة بلادك ....؟
يقول لي المعلم
كنت في السادسة
و كنت أظن أن دمشق هي كل البلاد
و أن أمي هي كل النسوة اللاتي يجب انقاذهن
و أن بيتنا هو العالم برمته
و أن ابي هو الطاغية الوحيد الذي يجب أن أقتله
و أن العَلمَ غير ضروري طالما أنه أبيض طوال الوقت.

هذه الحرب فتحت الطرقات أمامي
جعلت المدن تتوالد مجازر
عرفتها بالإسم ،
بعدد قتلاها .

الأنهر ،
بكم الجثث التي قذفت بها .
كلما نزل مطر في حمص
تنكشف مقابر جديدة
كلما حدث جرف قاري
أتوقع كارثة
كلما كتبت قصيدة أتحسس القذائف التي تنهال

هذه الحرب لا تريد أن تنتهي
هذه الحرب
لا تريد أن تيأس

#

رسالة إلى صديقي القاتل

11 أبريل، 2012، الساعة 06:02 مساءً

حزين من أجلك
... أنت لا وطن لك ،
... لا أماً حقيقية تزغرد لك لو قتلوك .
لا ذاكرة تستعيدك ،
لا خيطاً أسود يظل مربوطاً في صورتك ...أعلى الذاكرة .
لا ابناً يتباهى بك ،
لا ابنة تستطيع يوماً أن تقول
... كان أبي .

حزين من أجلك
لأنك ضد طحين الناس ،
طينهم ، و أرضهم ، و اعتدادهم
ضد دمعهم ، و قهرهم الذي بعمق يتنفس صُعداء خلاصهِ .

ضد الجدات الكبيرات في قرانا ،
سوالف الآباء في مضافات صيف طويل ... و سهر .
حزين لأنهم دربوك أن تردد عبارات ميتة ...تحييهم
لتحظى بإبتسامة الرضى
و تربيتة العطف ،
و... ركلات أقل .

حزين لأنك لا تبكي ،
و لا تبتسم ،
... فقط تضغط الزناد .
عينك معلقة ... باردة بلا أجفان
متجمدة كدمعة هائلة
في دائرة القنص
و خيط الحياة الفضي
الذي تقطعه بهدوء
بهدوء القديسيين
و سلام الرسل .

احمِ قلبك يا صديقي ...منك
احمِ عينيك من هول يديك
و ما تفعل .

حزين لأنك تهدد بقرات الجيران الطيبة ،

و رف السنونو العابر
تفزع عصافير الدوري ،
و تثقب منخل النوافذ المنهكة بالفقر ، و القِلة
و تعتقد كل القوة .. أن تزرع الصمت
في حديث الناس ،
الخوف .. في خطوهم المحاذر ...حين تعبر
ذعرههم ...
حين يمرون بلا صوت ، و لا ضجة في صفحة الحياة
و حين بأكفهم الممسوحة ،
و أفواههم التي قطبّتها الخشية ،
و عيونهم الخرس .
سيمرون سطور التاريخ
بلا أثر
_تظن _

حزين لأنهم استخدموا خوفك كي تُخيف
قلقك البسيط ...كي تحظى بطمأنينة الذعر
فتات ما تحظى
ايهامك بالمجد ...حين يدعمون نقصانك الذي رعوه بعناية
لتعوضه... بلذة الصفع ... و التنكيل
... نسر الإنتفاخ
مقابل شتائم التبخيس ، و صفعات الرضوخ .

حزين لأن سماءك مغلقة ،
و أفقك مزروع ...بحادث عارض
ينتهي بك متوجاً بمجد لا يلتفت إليه أحد
بطل نشرة أخبار لا يسمعها ، ولا يصدقها سواك .

تحمل صورهم ،
و تردد أسماءهم ،
و تحني رأسك ... لإرتفاعهم
تأخذ أولادهم إلى المدارس
تدهن قصورهم ...
تُعبّد خط مسيرتهم الطويل
تكون جِسرهم
و بلاطهم
و متكأ ذراعهم الذي يشير ،
و عصاهم التي تهدد ،
و رصاصهم الذي ينهمر
دون شفقة
تسهر طويلاً لتحرس نومهم الآمن

حزين من أجلك ... و عليك
أخي
و صديقي
و قاتلي

#

رسالة متأخرة إلى أبي
17 أبريل، 2012، الساعة 12:37 صباحاً

يا أبي
إنه صباح جميل كما ترى ...و تحب
ما رأيك أن نجلس لمرة واحدة و أخيرة... لنتفاهم
أستطيع أن انسى توجيهاتك القاسية التي قتلتني كثيراً ... و لم أعترض
تنبيهاتك التي لطالما تعقبتني بلهاثها المحموم خلفي
شتائمك ،
صفعاتك ،
كل تلك الندبات
... بما أنه
ممنوع عليّ استقبال الأصدقاء
كي لا يتلصصوا أخواتي كما أشرت غاضباً
ملوحاً بإصبع تهديد يلاحقني طوال الوقت ،
و ممنوع الحديث مع البنات.... ،
و ممنوع تكوين صداقات ، أو ما شابه لأن الجميع (عرصات) كما تقول
و ممنوع الحكي بالتلفون .. لأنه مُكلّف
رغم الحصّالة التي كانت تتدفق بليرات فضية بكمية ينفطر لها القلب
آخر الشهر عند التسديد
و ممنوع السهر لساعة متأخرة
ممنوع أن نستحم إلا نهار الخميس .. خوفاً من شبهة عادة سرية ما
و هذا القفل ..الذي يغلق قرص الهاتف بقيده الفولاذي
قيدنا جميعاً من أقدامنا (ككونتا كونتي) في فيلم الجذور

يا أبي الرائع
أيها الطود من ارتفاع و عسف
أنا ناجح كما خططت و صممت
لا أدخن ،
و لا أشرب الخمر ،
و مخصي ... بلا عائلة ،
لا أسب الدين ،
ليس لي أصدقاء ،
أشك بالكل ،

و شعاري المفضل (لست عنصرياً ، و لكنني أكره الجميع) .... بشكل متساو
كما قرأت في حوار لفيلم لم أعد أذكر عنوانه .
لا آخذ أحد على محمل الجد ،
و لا نفسي بالمناسبة ،

و جبان أنا يا أبي ،
جباااااان ....
لا أنبس ببنت شفة ،
و مسحوق ... و لا أحتج ،
قبلت أي مُتاح ... و بأي ثمن
رميت نفسي إلى أقرب مكب نفايات .... مقابل أول عرض
_كان الأسوأ كما ترى _
و اتبع بحرص شديد تحذيرات أمي ..... (و لك أوعا تحكي شي بالمدرسة)
....
ها أنا بعدك
كما رغبت ... مُمالئ و (لئلوء)
و (مكولك) كما كنت تحب إحراجي أمام الجميع
حين اقترب بهدوء لأقبل يدك الهائلة يوم العيد
مقابل (عيدية) لا تستحق كل هذا الذل
و كنت غالباً ما تتهرب منها أما بالنوم متأخراً ،
أو بخلق معركة جانبية
تنتهي بنا جميعا أمهات ، و أطفال مخلوعي القلب ، و محطمين .

ها أنا أشد على بطاقة (هويتي) كيلا تضيع مني و تسبب لنا كارثة ، و تذكّرني طوال الوقت على الحرص عليها ، و التأكد منها كل ثانيتين مرة واحدة على الأقل
أمسك الأوعية والأواني بحذر شديد إذ لطالما أكدت للكل أنني أكسر كل شيء ألمسه ، أو أحمله ، أو اهتم له .
أحاذر ان لا أتبول على أطراف الحمام مُخلصاً لشتائمك التي كشفتني مرعداً
... :_ وفائي لا تشخ ع الحيط
فينقطع خيط التبول من (الرعبة)
و يسقط زجاج قلبي ... دفعة واحدة .

أحاول أن أخفي بثور وجهي التي لفتت نظرك
و وبختني عل اللعب بما لا يجب (..)
أحاول أن أكون غير ما روّجت عني
أحمل الكتب ،
و (رايح جاية ع الجامعة) . . بلا طائل

يا أبي
لقد نجحت تجربتك
و قتلتني
و لكن ثمة أمر تغير الآن
سأسره لك
لأنك الأن على ما يبدو ... لا تستطيع أن تتابع الأخبار كعادتك

......أنه سيسمح للأطفال بالتبول عل جدران حماماتهم
دون أي مسؤولية
و ربما يستطيعون اللعب بأعضائهم
دون أن توخزهم ...ابر الذنوب
و أمر الهوية...... (انسى)
و أن المرء بإمكانه أن يصدق الناس
... بعضهم على الأقل

و أن الجميع صاروا يتحدثون عن الإختفاء المريب لأولاد العمومة .. و لكل أصدقاء المدرسة
و أنه ليس من العيب أن يكون لنا صوت...
بدل هذا التلعثم الذي رعيته بعناية فائقة
و قصصت حوافه كي يمتثل
و أن الجميع
... الجميع يا أبي
يرقصون بالشوارع ... دون اكتراث ،
و يهتفون دون خوف
و ربما يُحطِمون كذلك كل ما لا يجب أن يكسر
أنت تفهمني جيداُ.....ي ح طِ م و ن .... و أقسم لك
أعرف أنك تقول أنني أبالغ
و طبعاً أنا أتفهم استغرابك
فنشرات الأخبار عندك مُلفقة
أو ليس عندك ترداتها بدقة ،
أو يتم عليها التشويش
لأنها مُغرضة ...!

أحب فقط أن أخبرك أني أخيراً
... أخيراً
غفرت لك
و سأزورك
... إرقد في قبرك آمناً ،
ميتاً
..... لقد ولدتْ .

××××××××

#

زرنيخ

لملم قتلاك
راياتك الصفر
وجوه رجالك الذين أخطئوا البوصلة
لملم أحقادك
كل مآسيك التي خدعتنا طوال الوقت
الأمهات اللاتي قتلت
حناجر الحسين الذي شاركت بالذبح
لملم قتلاك أيها المنتفخ بالسم و هذيان التاريخ
اختبئ خلف شاشات البلاسما التي تسيل منها أصابعك الملوثة بأفيون الخديعة
تبديل الجهات
كما يشير الغريب
بإبتسامة الزرنيخ التي أبدلت أعدائك
بتخمتك
بعصابة سوداء .. كأرملة
بضاحيتك التي ليست أكثر من وكر
التاريخ الذي سيتعقبك
بكاء الأولاد بالقصير
لطخة على جبين عارك .
لملم مراياك
لقد تكسرت ألف قطعة
وصار من اللازم أن يحاذر المرء دوس الزجاج
و الغرغرينا .

#

سأرسل لك البحر في زجاجة
لا أعرف في أي ماء سأرميها
أو إذا كان سيتسع
حتماً ستلتقطها هناك
سترى كم أنا على جرف
كم أنت في هاوية
كم أهذي

كم أكرر أسماء المدن التي تمحى
القرى التي تسقط في ناب القاتل
سأرسل لك موجتين
لتغمر قلبك بالشهيق لتتنفس أعمق
أرسل لي هواء دمشق
صخب الشوارع
إزدحام الناس
أرسل الوجوه التي محاها الحقد
الدهاليز التي أخفت في لولبية دورانها الصِبية
دون العشرين هم
أرسل لي أوراق الناس عندك
دفاترهم
صور حبيباتهم
خواتم الفضة الرخيصة
الأوشام
آياتهم القصار
أرسل لي حافظاتهم التي مثقلة بعناوين الإنتظار
المستقبل الـ لا يجيء
الأمل الذي يترنح

أرسل لي خوفك ، يأسك ، جروحك ، من فقدت ، من تبقى .... في دمعتين

سأفهم اقتضابك
دمعتين اثنتين
و ...لنبكي معاً
بلداً واحداً

....
لمحمد بيرقدار في نوبة حراسته

#
صبي الموت
....

قال لي بخجل ... :_ إذا مت اكتبني قصيدة ... و غاب
إهداء إلى محمود الخطيب .

يقول لي
إذا مت اكتبني قصيدة
ذاهب الى البلاد من جهة الشمس
سأمر حلب هناك
سأتيمم النهر و سأصعد سور البلاد القديم
سوقها المكتظ ... بيوتها و التزاحم
سأمسّ بكف عماي طينها الذي يتكأ جدار الزمن
ببطء رحيم
طريق اليمام
مشيمة الشمس التي تنسل خلف التلال ..تجر أرضاً ذبيح

اكتبني قصيدة يا صديقي
أنا صبي الموت
الـ لم يتجاوز عشرين دورة لهذي الأرض البطيئة
عشرين قلباً من تردد عشرين اصبعاً من شغف
عشرين وميضاً إلتمع
في السطر ما قبل الأخير للحياة
،

_:حين سأموت
سأعرف حقاً أنني لم أمت
ستكتبني الكلمات التي أودعتها عندك رهينة ،
)أمانة) قل لأمي أني أقطن في السطر الثالث بعد الفاصلة
في المقطع العاشر

بعد صوت نحيبها مباشرة
قرب ظل أبي الهائل
يجهش نحيباً لا يستطيع أن يخفيه بكُم الخجل

حين ستكتبني
سأعرف أنني لن أموت غيلة
ستكتبني كلماتك القليلة
ألف حصان يثب و ألف فرس
ألف حقل يمتد و ألف نبع.
ألف قمر و ألف شاعر قتيل

انثرني حَبَاً لحمام حر
يطير في أفق الله
أبعد من الصرخة
انسجني خيط فضة في مغزل عجوز
من أرض حوران

حين سأموت
ستتضمخ خصلاتي بعطر من دم
على مهل ستتبع قطراتها على ركبتي حزنك
سأدخل البلاد من شمالها المنكوب
إلى أقصى جرحها العميق
من ثلجها ... من ترابها ،
من مسامات خفقها ،
من جثثها المُعفرة بتراب الإغتصاب
تناوب عليها الجند دون رحمة
ثقبوا كل محرمات الممكن
و عفروا ثوب عفافها الطويل
بمنيّ سفاحهم ... و الجريمة

سأعبر البلاد يا صديقي شفافاً
مثل سر
خفيفاً و سريعاً ... مثل وشوشة
رقيقاً و ناعماً ... مثل قبلة
قوياً و متسرعاً .. مثل تجربة أولى
لن تتأخر دفقات ارتعاشاتها
و الهذيان

سأعبر البلاد حاداً كجناح سنونو أسود
تردد قلب عاشق
بريئاً و جارحاً كوحش

لم تدّجنه المدن الخائفة

حين سأعود جثة
تلقف كفي الساقط
بلهفة تنهداتك و التمتمات
سرّ في أذني آية البلاد
اسكب في فمي قطرات رائحة إمرأة كانت تحوّم في ذاكرة الشبق

إرفعني أعلى الصورة

فوق أكتاف المشيعين ... قتيل

#

سأعود إليك
أعرف الآن كيف و هم يغمرونني بالقبلات و الأسئلة التي أجيب عنها بكلام غبي
أفتح النافذة و أسترق النظر إلى أشجارك الواقفة دون كلل على طريق المطار كجند بسيطين يؤدون التحية للعابرين
أرمق الجبل الساحر على اليمين الذي تتسلقه البيوت بهمة لا تفت من عضده انكسارات صخوره العالية تنزحلق على حوافها شهقاتي
هناك ضباب و غيمة
تحته بيتنا.
بنظرة أبي السارحة في الأفق ... دخان سجائره التي تتصاعد متبددة ببطء ساحر
رائحة القهوة .. ركوة النحاس العميق يشع كسر في قاع المشهد

سأعود إليك
أنت تعرفين
سأضيع في ازدحامك
كنز الصدف الهائل المنح
تجارب الجسد الأولى و اختبارات المستحيل التي تحدث
سأعود إليك
تنتظرينني بنفس البساطة
كشجر الكينا الضخم عند جسر فكتوريا
قباب السلمانية التي تحرسها أشجار طوال
جدران الحجر النافرة
ألمسها بيدي التي تعبر مغمضة العينين
تتحسس التفاصيل

سأعود
الى الحواري التي كنت أختصر
أدوّن في كل مكان فيك قصة حب لقيط اختلسته ذات دهشة
سأزور كل الأماكن و الروائح والوجوه...
سأعبر وأتفقد الأبواب التي تختفي في (دروة) الكون
كتابات الجدران و الحمامات العامة البذيئة ...قصص السكس البدائية التي تدون
تجربة مستعجلة كافية لقذف سريع

سأعود إليك
إلى حزنك و فقرك و بساطتك و هائل تركك للتعثر
الأعلام المهترئة التي تلوح في سمائك
الصور التي بقروية ساذجة ترغمنا على حب مستحيل
للأب الذي ينسدل بملل من صوره التي تغطي الأبنية
حمق عباراته التي تطاردنا بهزالها الممصوص الذكاء
سأركب باص القصاع من جديد و أدور إلى آخر الخط دون أن أفزع
سأنسل الى الميكروات و أقرفص أمام الباب و أنا أختلس النظر الى اكتناز
الركاب ... تجاورهم اللصيق
سأعود ...انتظريني على الأرصفة التي تواعدنا طوال الوقت
نتابع حديثاً بدأناه
و لم ينقطع في أي وقت.

سأقف على أسوار الشمال و أصرخ يا جنوب
هناك أمي
و بيتي و المدن التي يطحنها رحى الأخوة
سأصرخ من هناك أسوار حلب
تخوم إدلب
حزانو
بنش
البيضا
كل المجازر التي زرعت الأرض بالحياة
سأقف على حافة جبال زاغروس ... لأطل أعلى سهول سوريا
هل ألمس أطراف حوران ... شرش الأمهات هناك
هل أرى جسر الدير المعلق الذي يحلق أعلى رغم أنه سقط
أضواء قاسيون
رائحة الطرخون و العراتلي و طحين الأمهات
برغل أيامهم الخشن

هل سأرى كم فقراء نحن
طيبون و نزيهون
و كم أسقط في أيدينا
و كم ألتف حولنا

و كم استولى الغرباء
سأقف قرب الأسلاك الشائكة و الألغام التي تتأهب للإنفجار
الطائرات التي تقذف كل هذا الحب الشقيق
و أعاتب البحر
أيها الأزرق .. ثمة من ركب موجك واستل سكينه
ثمة من تسلق موجك العالي
لينهال علينا بالدم
لنعلو كزبد

سأتكئ كل الجدران التي تساقطت
الشوارع التي أنطفئت أضوائها
كل تلك النوافذ التي جورتها القذائف
كل تلك الثقوب التي أفرغ الغل رصاصته حتى العمى
أنا ابن دمشق
على أطراف أصابعي
أرى العالم في الأدوار العليا
و أنصت لخطوات القاتل يتجول في الرده المجاورة
و يحفر في القبو
قبر
لدي قصيدة
و أتعثر بأحرف العلة
و لا أملك دليلاً قاطعاً
كيف تتراكب الجمل
و كيف لعلامات الترقيم أن تصيب
و كيف يمكن للقواعد أن لا تنحاز للنشاز
و من سيلقي القبض عليّ متلبساً بالعرج

#

سأهبكم كرهي كله
و احتقاري كله
و هذا الدمار الذي يحيط....
سأهبكم نظرة اليأس كاملة
و عصة القلب على أشد وجعها
هذا الغبار كله..
هذا الضياع بمجمله.

سأهبكم هذه البلاد التي تنهار جدرانها تباعاً
هذا الغبار الذي يعلو و يعلو ليغطي وجه الله بطبشور المحو ..و الخجل
سأهبكم كل هذا القرف الذي يعصر الروح ..
كل تلك الكراهية المنقاة العميقة الأصيلة مثل ما أنتم و ما تشبهون
سأهبكم كل ذاك الخداع الذي عشناه
و تلك الأغنية التي لم تكن.
الأطفال المردومين بلعبهم و ضحكاتهم و صراخهم المجنون
الآباء ، الأمهات ... البنات
الجدات

اعثروا علينا مثل مستحاثات الموت
اعثروا على بقايانا
أشلاؤنا
كما ينبغي للبغتة
والمفاجأة
اضبطوا كاميراتكم ...نحن جرائم للتوثيق فقط
جرائم لا مفر من وقوعها
و لا راد لقضائها

لاشيء الآن يستحق أن يقال...
لاشيء الآن يستحق أن يُرثى

فقط المزيد من الإحتقار....
الكثير منه
...أنتم أشد بأساً منه الآن
و ضراوة .
البشرية التي تدفنونها تحت هائل ردمكم الأخوي
الشقيق الشقيق....
من جهة الطمأنينة .

أهيلوا التراب

أهيلوا التراب

#

سنجار

بأحذية أكبر من مقاساتنا
بأغان أوسع من اغماضة أعيننا
كنا نظن الله قريب
كنا نظنه خلف التلال
أو أعلى خط الليلك
أسراب الطيور آخر الخريف
يتبعنا الغبار على مهل ،
القمح الأشقر ،
الرائحة ،

بيوتنا التي نجرها بحزن كيلا تسقط منا المفاتيح
لا نأخذ سوى قطرة ماء
وأكفنا التي نشدها إلينا ، كيلا تلوح للخلف
سوى ريشة طائر
سوى ابتسامات الأمهات في الأعراس
موسيقا تغمرك ... تكاد تضيء
زيزان الليل الهائل أعلى جبال سنجار
برده الذي لا يرتجف فقط
بأحذية جند ماتوا
و أوراق لم نستطع أن نلحق تطايرها
صعدنا إلى ما لا نعرف
تتبعنا الظلال
الغيوم
صمت إله مكسور
قمر معلق بحبل مشيمته
التماعات الأصفر أعلى البيادر
خواتم الجدات العقيق
صوت الكلاب التي تستجدي أن نعود
و لا يحدث
لا يحدث

#

طفل مبلل
9 يونيو، 2012، الساعة 03:40 مساءً

كيف تنظر لِمراياك
و تضحك...
تمسك عجينة الكلام
لتحولها كيف تشاء
وتحوّر ...كيف تستطيع
و تحرّف
.. ...كي تراكْ
أوضح،
...هذه المدن التي تشتعل من كُمِ هلعها
ليست سوى هامشٍ
و ريفٍ يستحق الدوس
هذه القرى التي ترتجف أسمالها
و أولادها و جوعها
ليست مؤهلة لمائدتك...
تستخدم فيها سكاكين الحداثة
و (شُوك) التحضّر المُدببة الحواف

إنها فقيرة
رُقعها تشي بها
شعثها
أسمائها ... تستطيع أن تخجل بها
كما يجب للإعلام الحر
،
هرول يا سيدي
كيف أردت
لن يفيد تعلقك (ببار بي)
استقدمتها من (هارولد)
على جناح السرعة
تتحدث عربية ركيكة
بطلاقة انكليزية ... بارعة
هرول ما استطعت
خلفك كل طباخي السُم
طهاة الكذب

و مرّوجو ...مورفين الرث
مُحاط ...بكل أولئك المصفقين
و الدمى
الـ ترقص وفق خيوط الشد
و التلقين....
هرول
و اختفِ في مضاد الرصاص
علّب قلبك
صفّح روحك من غيلة مباغتة
احفر قبواً في ضميرك ... و الجأ إليه
....كل قنابل التأثر
لن تفتك بك
ستحميك من دموع عابرة .. للقارات
من أغنية تخترق جدار الصوت
من بكاء أطفال خُدّج
سلس بولهم ... لحظة الذبح
كفن نفسك بالصمم
...أنت قتلت بلاداً كاملة
و أبحت مدناً كاملة
و دست قرىً بكل عجينها ، و خبزها ، و خوار بقرها
و حليبها و رائحة الأرض العميقة التي نسيت
و تَصَاعُد أنفاس الصباح من حرثها الجريح

... قِي نفسك من رُمانها الخَطِر
مُتدل بالخصوبة
قِي نفسك من أسمال أطفالها
خدودهم المتضرّجة بدم الوفرة
رغم قليلهم ..الفقير
أكفهم التي تتقشّر
خطوط شتاء .. دامٍ

قِي نفسك
من تلك البلاد التي لفظتك
وحطمت وثنك
و أهانت طرقات بيتك
بورود القتلى التي تجتاح
حتى لا تستطيع الدوس ...و العبور

كل شاهقكَ ...
لم يعد يخيف هذا الولد ...الذي يمسك صوته
و يُطلقه ... رصاصة ثابتة الهدف
في منتصف انهيارك .

كل مُحكمٍ ...ما أغلقت
و ما رفعت
و ما دججت
ستمحوه أيدي الناس
بلعاب لمسها الحي ...على جلد موتك الآفل
،
بيننا و بينك
عَلَمُ مقتول
و بلاد تم بيعها للغريب
مدن تم حفر وركها ... بالأقبية

بيننا ... و بينك
هذه المتاريس التي تكدس رملها
كي يقِي قلبك
من نظرات الناس
من جوعهم ... من خرسهم
من مصادرة صوتهم في كل مرة
يحاولون القول
بيننا و بينك
خارطة مُثقّبة
ينزّ منها دم أبنائها المُختفين
خلف جدار العتمة
المُتلاصقين في عبوات نفيك
المُكبلين
بجنازير عجزك المرير

بيننا و بينك
مئات الأطفال القتلى
مُتراصين في قبورٍ من ضوء
و صخبٍ ساكت
بعيونهم العسلية ، و الزرقاء ، و الخضراء
أطفال البلاد كاملة
البلاد التي لنا
و لا تعرفها
بكل بهائها
و جمالها و رثها
بكل مثلوج أصابعها
برد شتائها
جبالها الطوال
بيننا وبينك
أعلامنا التي تخفق
حشودنا التي تبتهل إله السموات

أن يشاركنا الرقص
بيننا و بينك
وجهها الذي شوهته أصابع محترفي النهش
و أطبائك المختصين
بالخصيّ
بيننا و بينك
هذا الجيش التي تمتطيه
و هذا الغناء ... الذي يهزمك..
بيننا و بينك
كل تلك المدرعات التي تركت الأعداء
و التفتت إلينا
هذا العالم الذي ينافقك
و يدفعك إلى الجريمة أكثر
البلاد الغريبة التي تسطو عليك
لتسلبنا أكثر
بيننا و بينك
كلمة واحدة ...لم تعد تدركها
انحباس لغوي في لفظك المُتعثر

... ابنِ جحورك في أقصى الأرض
سنصل إليك
ممراتك الآمنة
كي لا يغمرك الطوفان
ابنِ مملكتك تحت جلد البلاد ... كورم
مستنقعات الخرس العمياء
كل ذاك العقيم من القول
ابنِ أمجادك على انتصار الآخرين
ألاعيبك على اللفظ
و استخدم جثثاً ليست لك
كي تدّعي الشهادة
ابنِ أمجادك ... على تحية الصباح
في معسكرات تجرّ بها
قطعان الناس
من أنف صاغرها
و تجرّك الآن مواكب رقصاتهم
خارج التاريخ

بيننا و بينك
عواء مُخبريك على شاشات العالم
بيعهم نفاقاً لا ينطلي على أحد
و لا يصدقونه ...حتى

بيننا و بينك
انتصارات راكمتها علينا
و تركت الغريب..
يبني منتجعات استرخائه
يتزلج قمم ...انهيار الكرامة

بيننا يا سيدي
كل أولئك الذين يقومون و يقعدون
حين تدخل...
يهزجون تصفيقاً
و يضحكون ...إلى نهاية النهيق

بيننا و بينك
تفاح حمص
و زيتون أدلب
و مشمش دمشق
و كرز الزبداني
و فرات الدير
و نواعير حماة
أنين الحولة اليتيم
و قبر .... يتسع لدُمى أطفال ناموا إلى الأبد
بعيون تحملق بالفراغ
من الدهشة
و الهلع
و صوت المغني
يتدفق عاصٍ... كنهر
من حنجرة
ذبحه .
بيننا و بينك
جثث تم التطويح بها في نهر الفضيحة
و جثث تم دوسها
كي تُصدّر تحضرّك
و تتوسل الرعب
أن يطرق قلبنا .
بيننا و بينك
شاشاتك تحتفي بالمنفوخين
و الشتّامين
و مروجي الخطيئة
و ماسحي الأحذية
و تلك السيدة
بحاجبيها المقوسين
و التي لا تكف عن ترديد

وطناً مُجمّداً في غرف التبريد
يتم طهوه بثلاثين دقيقة
و اضافة بهارات الخفة
إلى ثقيل وقعه
و تقديمه ساخناً للملك
....في الصورة الميتة

بيننا و بينك
مساجدٌ مُصادرة
و كنائسٌ مُدّجنة
و منابرُ شعرٍ
تلهج عقوقك

بيننا وبينك
ثقافةٌ تم سحب اكسيرها
لغةٌ ... صُفّحت بعبارات التمجيد
طرقاتٌ أطلقت على شرفاتها
رصاص قناصيك
نجومٌ لم تعد لك
و سيوفٌ لا تتقاطع
على كتفيك
،
تتدلى مُعلّقاً من كلماتك
تتدلى قتيلاً من جثث قتلاك
تتدلى من أعلى جسور مُسلحك
الذي بنيت
سينسفها مَدُ صرخات الناس
....
لقد نسفت قلوبنا قبلاً
و فخخت أرواحنا قبلاً
حشرت ملايننا في أقبيتك قبلاً
زرعتنا كجرح في أرضنا
و ثمة أمهات ينتظرن على نوافذ دمعهن
و لم تُسلم لهن الجثث
و لم يُقَم تأبينٌ يليق
و لا وجوه تستطيع الذاكرة
أن تستحضرها
أو تغلق الصور
في دفاتر النسيان
،
أعد لنا جثثنا التي أخفيت
تحت وسائد استغفالك

أعد قلوبنا التي
بأصبعين من فولاذ
ضغطت هذا الإنسداد و العقم
أعد لنا أحلاماً تم هدمها
بديناميت الرعب
و الأسئلة
و الشكوك
و الحذر
... كل تقاريرك .... لم تعد مُجدية
الشعب كله مطلوب
و الجمهور كله متآمر
و الوطن كله يطالب بالهجرة منك
لم يعد لك ...سوى مُهرّجيك
و (خادمات) القصر ...(بتنانيرهن) القصيرة
المفرطة الإبتذال
و حيزبونات الترويج ... للخديعة
لم يبقَ لك
سوى بعض قافزي الحبال البارعيين
و جملة القابضين على زناد الخوف و الخشية

لم يبق لك .. إلا ظلك ... و الذعر الذي يتبع خُطاك
الفاغر الذي يلحقك....
الصدى الذي تهرول أمامه ...كطفلٍ مبلل
كل هذا الخرس الذي يُجاهر ارتجاجاً
يهزُ زجاج نوافذ تحفظاتك .. و تحصينات روحك
،
اربح نفسك ... و اتركنا
لقد خسرت بلاداً كاملة
و أمهات من حنوٍ ، و ضم
لقد خسرت مدناً حزينةً ... ومتوحدة
تقف على أطراف رثها
تتسول ...كسرة عطف
اربح نفسك
لقد خسرت شواطئ كاملة
و جبالاً كِبار
و شمساً لا تأفل
لقد خسرت
سنابلنا
جداتنا كلهن
قمحنا السخي ...كله
حليب نقائنا الأبيض
حتى السذاجة

....خسرت مراعينا
و فقرنا المتواضع
الذي يقبل كل شيء
و يرحب بالجميع
طيبتنا ... خصوبتنا ...على مدار ألفٍ عام
تصديرنا للحياة
،
هذه البلاد ...ليست لك
اخرج منها
اخرج من لغتها
من نسبها إليك
هذه البلاد لا تشبهك
لا تشبه خطوط الجدات
على وجوهن الطيبة
كل تلك القصائد الموشومة
على ظاهر أكفهن
و أسفل ذقونهن
و أعلى جباههن العالية
إنك لا تدرك قطرة الذهب
التي خرمت جانب الأنف
و لا الخواتم الكثر ...لقروية في الثمانين
تُعشّب حقول الشمس من جذرك الخطأ
...إنك لا تشم رائحة القمح كفاية
و لم يلفحك غبار التبن
الذهب
و لم تفاجئك بيوض الطيور
في عش الدهشة
إنك لا تنتبه كيف ينمو الجوز بأناقة شديدة
على طرف الأنهار
و لا كيف ينحني الزيتون
و يتفحم قابضاً بكلتا يديه
كل أحشائه ...كي يعصر الخصوبة
لم تُضئ روحك ..حبات المشمش
أعلى الشجر
يصيبك نمشه ... بالدوار
لم تُجرب
الماء و الصمت
و حقول الصدى
رائحة الخبز الأول
الريحان
ولون الزيزفون
الذاهب في الغيبوبة ... و الخدر

لم تختبر الأرض
لم تضيع في شوارع دمشق
في كُمِ حاراتها القديمة
المُطرز بدانتيل الزمن
من قصص الجان
و ذعرك من الصبية
الأشرار
إنك لم تجرب
العمات الكهلات
و هن يرتقن .. نُقصانك
و يَحِكن رغم عماهن
كنزات بصيرة صوف
تحميك....
لم تجرب...
صوت باعة الصباح
و خضار الأرض اللامعة
و عنب داريا
رائحته
كل المعنى ..في تلؤلؤ وهجه
(غيث) مطره
الذي قدم الوردة
...سحقتها بكف مجنزراتك

صدقني ...إنك لم تعرف
لم تختبر
لم تجرب
و ... لم
،
لك
كل هذا الذعر كله
هذا الخوف كله
ركضنا المُتعثر في حقول الفرار منك
لك أطفالنا المرميين على وسائد الدم
كل تلك اللطخ
التي تشي بمرور سحجات اهتمامك
لك ... هذه الأمهات
يندبن و ينهدّ قمرهن العالي
على أقدام أولاد قضوا
ذات أغنية

لك هذا الزحف على أربع لأمٍ
تستجدي خيط دمٍ

ألاّ يأفل

لك الأراجيح التي تقذفها
إلى أبد الهول
و لا تعود أبداً
النسوة اللاتي ينطفئن على حافة قبور فاغرة
تشهق بالدمع

لك
كل الصور المُرّتجة التي ينسبونها
خطأ إليك
و التي
يقوم أعداء الوهم
بقصقصة أطرافها
لتورطيك
لك كل خدع العالم عليك
و تآمره المُحكم الأطراف
كي تبقى راقصاً
على حبال الدم
المُتأرجحة
أيها البهلوان
لك ... كل هذه القصيدة
التي أود أن لا تنتهي أبداً
و إن فعلت

فَبكْ
....

#

عندما تصفعني
أخرسني
كيلا أحس
عندما تضع سكين عدالتك على عنقي
أسرع
لا أحب تجريب مثلومها المرعب
حين تفكر بإطلاق رصاصات براءتك على عاري
يفضل أن تكون على صليات متتابعة
لا تدعني أفكر أنك تتردد .... قد أغفر لك
عندما تظن أنك قتلتني تأكد
عادة أغافل من أحب
فأنبت وردة ندم في قلبه
لا يمحوها أي ثأر.

#
عندما ستضع الحرب أوزارها
سأمحو الغبش عن نوافذ العالم
سأقود كل الأطفال إلى المدارس
الرجال ... إلى المساواة و العدل
النساء .. إلى. الثقة و خطوة الإعتداد.

عندما ستضع هذه الحرب أوزارها

سأزرع حقول الحنو في الطرقات
انحناءاة الضم
و قبلة الإمتنان
أثداء تنهمر بالخصوبة و المطر

عندما ستضع هذه الحرب أوزارها
سأعانق أمي بكلتا يدي القصيرتين
دقات قلبي المضاعفة
سأعود طفلاً إلى صدرها
الذي يفيض بالحليب و النعاس و الرائحة
....سأبكي كل القتلى
الذين لا ذنب لهم
وقضوا دون أن يعرفوا لِمَ
سوى أنهم على الجهة الأخرى
عندما ستضع الحرب أوزارها
سأركض في كل طرقات الشام
أعانق كل عماتي الميتات
حقول (جوريهن) العميق
و (الفلة) في (الدروة(
)الشمعة) التي تلمع كابتسامة قرب النافذة
)السمكة) التي تتغاوى
)شب الظريف) الذي ينثر ألوانه دون حساب
القرنفل الخجول
دامغ أحمره القاني
كشفاه عروس

عندما ستنتهي هذه الحرب
سأعانق البلاد البعيدة
البلاد المتروكة للريح
القرى المنثورة كحَبْ مستحيل
في كف الأبد
المدن التي تهدر بصعوبة
تتنفس عرق الرجال
خوار حرثهم
و تطلق زفيرها
أبخرة ... ولهاث
حين ستضع هذه الحرب أوزارها
سأكتب على اللوح
اليوم ... و التاريخ
اسمي
وفائي أحمد ليلا
في السادسة

ألثغ في اللسان
يعرج من جهة القلب
ألف عصفور يحتشد
في نمش وجهه
ألف غابة في أخضر عينيه
ألف أغنية في قلبه الولد
ألف حلم يقظ يطرزه بالوهم
و يمنحه الأدوار
حين ستضع هذه الحرب أوزارها...

#

عندما ستنتهي هذه الحرب
سأفتقد يارا صبري
عينيها الدامعتين و هي تبحث كأم عن أحد ما
كل يوم
أشعر أنها تحمل فردة حذاء لطفل مفقود
صورة متكسرة الحواف
خيط ملون
خصلة وهم
كل يوم

#

غبار خفيف

9مارس، 2013، الساعة 07:48 صباحاً

من لطم وجهك يا أماه
من لطم ذهولك بكف الألم
من كوّم أطفالك على حمّالات المشافي الباردة
من تجنب أن يقول لك لقد ماتوا جميعهم
أين تتوجهين
لا أطفالاً تلمينهم حول مائدتك التي ترن بالفراغ
لا صخب سيتحلق مثل العادة يطالب يديك بالبسملة
لا ملابس في كيسك الذي حشوته كيفما اتفق قبل أن يسقط جحيم الله كاملاً من شقيق أشد من عدو ... و أنذل

من لطم وجهك
هذا الغبار الخفيف على معطفك
هذا التعثر في قدمك
هذا الطريق الذي ليس هو
...ليس لك بيتاً كي تعودي ، ولا زوجاً تستطيعين أن تجهشي بالدمع
من ينتزع منك اصرارك ،
عدم تصديقك ،
فاغر وجهك
المفتت
بصفعة
لقد ماتوا ....
ماتوا يا أمي
أولادك الذين تظنينهم يرّنون بملاعق صخبهم يومك الذي تبتسمين في آخره على مخدة التعب

#

غداً عندما تقتلونني ..تفادوا عيوني إنها على الأغلب فاغرة كجرح
ركزوا على القلب مباشرة لأنه ... ظنكم
عاجلوني بطعنة واحدة ... ويفضل أن تكون من الخلف لو أمكن...

حين ستغطون وجهي بقميص عتمتكم اخفضوا أصواتكم
لا أريد أن أعرف أن قاتلي له نفس اللغة
غداً حينما ستعرونني كما تفعلون مع الجميع
لا تسرفوا بالرسم بحرابكم لئلا يفزع أولادكم الذين ستتباهون هذا المساء بصور موبايلاتكم
غداً وأنتم تسوقونني مع أقاربي وأصدقائي رتلاً أحادياً إلى الذبح ...تأكدوا أن أعدادنا كاملة
كي لا يبقى ثمة شاهد واحد

حينما ستحفرون قبورنا أو ترمونا بالعراء
اتركوا طلقة أخيرة في رؤوسنا ... كتذكار

غداً حين ستمرون بيوتنا الفارغة حاولوا أن لا تتذكروا ظلالنا التي نبت العشب مكانها
و حاول أن يخفيها عن أعين ذاكرتكم التي لن تنسى بسهولة طعم الإنتصار
غداً حين ستكتبوننا في دفاتركم تذكروا أننا كنا معصوبي الأعين
و مربوطي الأيدي كالفرائس في الغابات
و أننا كنا مطيعين للغاية ...
و لكننا أقل تحضراً على كل حال ... و أشد بربرية.

#

فقط في قصائدي أستطيع أن أبكي بهدوء دون أن يقاطعني أحد
أن أغلق الباب خلفي دون أن يُرتاب بي
أن أقترب مني بهدوء شديد... دون أثير الوحش المجروح بطلقتين في القلب
أن ألمس خوفي وأربت على كتفي.. وأقول له تحمّل
فقط في القصائد أستطيع أن أحذف العالم الذي يحضّر فخاخه طوال الوقت
وأتجاهل كل من يسحب مني الثقة بكل ثقة ويوبّخني... كم أنت مباشر
وكم لا قيمة لكل هذا الهراء الذي تقول
فقط في القصائد أكتب كل مالا أتجرّأ... وألمس كل المستحيل الذي هددني الله بالحرق
فقط في القصائد أقول كم من البرد الذي يقدم لي العدم
وكم سريري فارغ ومرآتي لا أحد يكتب بطبشور ضباب تنفسه... ناصعها الشاغر
فقط في قصائدي
أطرق كل أبواب دمشق
وأحضن كل الأمهات
أرسم وطناً كاملاً من حبال الزغاريد

#

في بلاد بعيدة
كان هناك بشر يموتون
كان الهلع يحمل أطفالاً
كانت العيون تنقل الرجاء على حمالات الإسعاف
كانت أكف الأمل تسقط مغشياً عليها
في بلاد غريبة
بلاد ليس لها اسم
و بالكاد يمكن الوصول إليها
إذ لا طرقات
لا اتصال و لا وسائل للتواصل و لا أحداث هامة أو تستحق لتنقلها نشرات الأخبار و شاشات التلفزة
بلاد لا ينتبه لها العالم
ذئاب عبرت شمالها و الشرق
تنانين صحت في غربها و الوسط
بلاد عجيبة
لا أحد يعرفها ولا يحسن تهجئة اسمها
تسقط عن طرف الكرة
أو تمسح من على طاولة الحضور ... كأنها اتساخ
في بلاد مستحيلة
كانت هناك مدن أيضاً
تم محوها بشفرات الجز
والبشر الذين سيقوا ذات عتم
القمر الذي اقتيد مغفوراً
حيث لا دموع
و لا صراخ
مآق مجورة من الدهشة
أفواه خاطها الخرس
تقلص في عضلات الوجه
في مدن و قرى كل البنات فيها يخرسن
الصبية سقطوا في الفاتحة ، و عِرق الآس

الأباء في التجاعيد
الجدات في معاتبة الله
بلاد بعيدة لا أعرفها أبداً تغيب رويداً رويداً في الغبار ، و تختفي إلى الأبد

#

قصيدة حب
____

بقدر حب واسع و عميق
سنقتلك!
بقدر أطفال قضوا على بلاط الشتاء البارد ...شتائك
سنقتص منك
بقدر جبالنا العالية ذراها التي تلمس الله في أعلى الشهيق
سنصل إليك
بقدر شمس الخريف الواهنة التي تمس الأرض بارتجاف خفيف
سنمحوك
صوت الجرارت البعيد
دفق الماء من آبار هائلة العمق
من صوت العصافير التي تتزاحم على قطرة ماء

بقدر جمال آخاذ ندين له
وجه واحد نحصي شاماته ولا نمل
قمر نائم على جفن من نحب
يتركنا بأرق طويل ... سنستعيد البلاد كلها منك
و سنترك لك الخارطة لتكتشف في دهاليزها طريق الفرار
و خيالات الظل التي ستتعقبك.

بقدر الحنين و الرقة و الدهشة
بقدر الشعر
و الإرتباك بعد أول اعتراف حب
بقدر ألف ضربة قلب لعاشق لا يعرف أن يفر بفضائح إكتشاف الآخرين قلبه
سنطلق عليك رصاصنا الثابت اليد دون اهتزاز
و لا ندم.
××××××××
دير العصافير ... دمشق

#
قفازات
....

أطلق الرصاص على ذاكرة الأمهات الطوال
بقدر حزن
...كي تنساك
لن تفلح مهما فعلت
...لا مطاط عبورك اللص ،
لا الخلسة التي تسللت ،
لا قفازات انتخابك أي الطرق أسرع
كي تُجهز على الضحية.

لا ملاقط قبضك الفولاذ
التي تتراخى ببطء....
كلما شددت على عنق فريستك أكثر .

#

قلتُ لكِ إنها بلادي
تلك التي تنهار تحت سقف الله
قلت لكِ لا سلالم تصل إلى قعر سمائها
و لاحبال كافيه
أن تنشل قمر من جبّ ردمه
تكالب الأخوة حولي
و رموا سهامهم كلها
أسقط الرعب كل هداياه فوقي
كانت ثقيلة حد الردم
مخيفة حد العمى
قلتُ لكِ أني أصم
ارسمي يدي على الجدار
ارسمي لي عيناً على المرآة
تلك التي حذفتها قذيفة
قلت لك
أنا هو...
الذي تعرفين
و ثمة (يهوذا (خلف الباب
كل باب
قلت لك.....
و في اللحظة الحاسمة
اللحظة التي يجب ، كتبتِ أسماء الجيران مكان اسمي
و وضعتِ ورداً على قبر سواي

#

قولوا لأمي التي تلّوح من نافذة بيتنا في الطابق الثالث ،
بغطاء الصلاة الذي يكللها بالثلج
بوجهها الممتلئ بالطيبة
بغمازات أبي الذي تركها عنوة على وجهها
و غادر
لعيونها (المغبشة) بالدمع

أني قادم
لن يمنعني هذا الجندي المرتعد خلف مدفعه فوق
و لن يفهم لماذا تُخفق طلقاته دائماً
عدواً ليس هو !
بلاداً ليست يجب.

#

قولوا لأمي في الشام أني هناك معلق على حبل غسيلها .. سأراقب لها آخر الشارع و سأضلل لها تلك الطلقات السريعة برأسي البطيء حتى تنهي صلاتها.

#

قولوا لحبيبي هناك في بستان القصر
كل الطرق مزروعة بالقناصين
لا تعبر هناك
طريق بيتي بعيد
اعبر تحت جنح العتم
ضلل مراياهم بإلتماعك
غبش عيونهم بتلويحتك
بقلبك الذي عشرين من نبض
قولوا لحبيبي في بستان القصر
الطرق ما عادت آمنة
اخف عينيك السود عنهم
حنجرتك التي تخدش قلبي بخشونة بالغة الرقة
قامتك التي من ضوء

قولوا لحبيبي هناك
في بستان القصر
أن لايمر
كي يراني
لئلا الجند يسبقونني إليه...

قلبهم الميت ... رصاصهم الحي

#

قولوا لدمشق أني هناك
ألعب في الحارات التي تتلوى من الألم الآن
أركض في الطرقات التي تهرع الى أكف الله لتحتمي
النوافذ التي تختلس النظر بحذر

قولوا لدمشق أن أصابعي باردة
و قلبي ينتفض بأرنب الطفولة
الآن
...أريد أن ألمس كل الجدران المكتوبة بخربشات الطفولة
الشجر الوحيد
الكينا قرب جسر فكتوريا
النهر الذي يرتجف متعثراً إلى بساتين البعيد
قولوا لدمشق أن عجلة السِلك الوحيدة ... تخطّ (حزوزاً) من جرح على جلد بياض الطرقات الآسر
ستعبر كل طرقات الشام
ستغادر إلى القرى القريبة
ستصافح الجبل الذي يكتسي بمعطف الثلج و لا يرتجف
البيوت الت تُضيء لمباتها أحمر خفيف ... وَهَنَ هذا الصباح المرتجف
قولوا لأمي التي تلّوح من نافذة بيتنا
بغطاء الصلاة الذي يكللها بالثلج
بوجهها الممتلئ بالطيبة ، بغمازتي أبي التي تركهما عنوة على وجهها ... و غادر
لعيونها المُغبّشة بالدمع
أني قادم
لن يمنعني ظل هذا الجندي المرتعد خلف مدفعه أعلى قاسيون
يتحسس صورة حبيبته
و يلقم فوهة فاغرة
لجوف أسود و بارد يتلقف برحمهِ الآثم طلقات نحاسية ترتعد من الغدر
لا تفهم لماذا تخطئ دائماً
عدواً ليس ... هو.

#

قولوا لصديقي هناك....

31 ديسمبر، 2010، الساعة 03:30 مساءً

لعمار الحاج أحمد...

قولوا لصديقي هناك
أني قتيل هنا
دمي على شراشف الكون
ووسادتي الأرق
يطعنني جسدي
في منتصف الحيرة
ويلتف حولي ملائكة الرصد

قولوا لصديقي الذي يتكأ غيمة
وينام
ويحلم أن يمطر
على وسادة أمه
أن لا أم لي هنا
ولا أب ينشلني
من هوة الغرق
أن السماء قريبة
حد الخنق
والأرض بعيدة حد الهاوية

والمسيح معلق....
على صليب صرخته

قولوا لصديقي الذي هناك
أن أربعيني اللاهث
لن تدركه خطوات أصابعه القليلة
عديد عمره الضئيل
قولوا له
أن أحداً ما
لعب بروحي جيداً
كما يجب للمرح
أن إلهاً عظيماً
اخترعني من جذر الخطأ
أن هذا المكان منفاي
ومدينتي ميتة في قلبي
أني قتلت كل من حولي
كي لا أذكرني.
مسحت اسمي عن كل جدران دمشق
عن كل طرقاتها
أنني لم أكني
،
قولوا لصديقي هناك
أن كل أرغونات العالم
وكل الأجراس تعرفني
أغان الغجر الملونة
خرزات تقافزها المجنون
تحفظني

قولوا له
أني أنزف من كامل جسدي
اللطمة اختصرتني
الصمت خاط فمي
أن أصابعي أكلتها الكلمات
ولساني ابتلعه الخرس
،

قولوا له هناك
أني قتيل هنا
وأن أحداً ما.....
سحل روحي
وأغلق كل الأبواب
قولوا لأحد ما هناك

أن سمائي خاوية
وإلهي نحاس
أنها موصدة كانت
كل الأبواب
قولوا له ...حين يتقوض ليلي الفاحم
يسندني
بضمادة قلبه البيضاء
قولوا لصديقي هناك
أن الطرق خدعتني
الشجر
اشارات المرور
شرطيّ الكون
نساءه الملوحات
أطفاله العمي
قولوا له
أن حباً لقيطاً ضللني
وأخذني ....إلى الجدار

×××

# #

قولوا للقاتل
أننا نتذكر أسمائهم واحداً واحداً ، كي لا ننساك
سنحصي كل الجروح التي تركتها الأراجيح على الرُكب الصغيرة
كل الألعاب التي تُركت في الممر
كل الدُمى التي غطت عينيها حين رأت
كل العصافير التي هوت من الرعب

# #

كشتبان

....

و لكنني ، كنت أحرس الورد في (زريعة) أمي المركونة في الظل

تلوذ بالآيات و تسبيحات الصباح

حبال الغسيل التي تتمرج عليها القصائد

)بنطلونات) أبي الواسعة التي ينفخها الهواء ....

فأنكمش

)فساتين) أمي التي تطير لخفتها البالغة

أزهار البرتقال التي بحثنا طويلاً .... و لم نجد

سطح بيتنا المائل

)المندلون) الذي يخفي سراً ما

كتبية الجدات ، و أزرار ملونة ، و خيط مرتبك ، و ابرة إمعان لجدة لا تخطئ قطبة الخرز .

....فنتأوه

و لكنني كنت أحرس (حنفية) البيت الباردة

و صوت أمي الذي يكرره الصدى

تنادي أولاداً يتشاغلون بخبث عن شراء الحاجيات كي لا يفوت قطار اللعب دقيقة دونهم

ألملم المحفظة التي تناثرت دفاترها على امتداد الأرض

)مرحات) الأنسات ،

)العشرات) بالأحمر ،

و (الأحسنت (،

و صوت الجرس ،

الصفوف ،

)الصدريات) البنية التي تعلو ياقاتها (فلورات) البعث ، (بجوزاتها) البلاستيكية الحاذقة الخنق .

لقد كنت أحرس قبر جدي (بأبو جرش (

و صوت الآذان

و رائحة الغسيل ، و (كشتبان) أمي الذي يرن بفضة إلتماعه

و رائحة الليمون في أرض الديار

كنتُ قبل أن يأتي الغريب
أنشغل بتضميد الورد ، و حرق النمل العاجز دون رحمة
و الإنسلال إلى جسدي الصبي بأصابع الإختلاس
قطف خوخ اللذة الحامض
لمس البثور التي تخلفها الندوب على وجه الخجل
كنت أود....
قبل أن تقاطع حياتي برصاصك
قبل أن ترمي على سقف بيتي القنبلة
قبل أن ينفجر الصاعق الذي أخذ أصابعي
و نثر على جسدي ، ثقوب نمشه
كنت أود أن أتجاوز الحاجز
قبل أن يأخذ (الصبي) مني
و يعيد إليّ (الراشد) ، الراشد حقاً
يعيد إليّ الإنتباه.

#

كل تلك الطرق الغريبة تقودني إلى دمشق
العلامات التي فجأة ستنتبه و تغير أحرفها
الأشجار التي تتحدث لغة أعرفها
السهول التي تختفي في أفقها بلاد تمتد نحو الجنوب الجنوب
الغيم الذي يهيم على غير هُدى
أعرف أن كل شيء صمم على هذه الأرض
كي يعود ... هناك
من أجل مدينة تتسلق برفق جبلاً مجاور
و تنام فوق ، على وسادة القمر

# #

كنت أريد أن لا أقتلك
و لكنك سبقتني و ضغطت الزناد
لقد زرعت لك ورداً بالممر
و رائحة الكحل العربي تفوح من باب المصادفة
و الترحاب.

كنت أود أن أقول لك قبل أن تُخرسني صفعتك
أنني سأبني قصائدي قشة قشة
و لكنك هدمت البيت.

أيها الطاغية الذي اقتحمت بيتي
كلفني موتك بكاء طويل
و موتاً كان ضرورياً
اختارته طلقاتك ... التي ارتدت إليك!

#

كنت أظن كل المدن التي تقصف
بلادي
كل الأطفال الذين يقتلون ، أنا
كل الأمهات أمي
كنت أظن أن كل نساء حوران تركنني في دمشق ذات سهو
كرديات الشمال نسينني ذات خريف في سوق الجمعة
كنت أظنني ابن الأرض و الناس
الماء و الضوء
و أنا ليس لي (روج آفا) التي لا أعرفها
و ليس عندي سوى بيتنا في ركن الدين
جدتي إسعاف
بملايتها (الزم (
و (كندرتها) الزحف
)بسكها) الكبير
)بصرر) الملبس و آيات القرآن
و ابتسامة الخجل
و أنا من دمشق
اسمي كما كنت أظنه طوال الوقت
و لون بشرتي أشقر
لم يعاملني أحد كزنجي
و لم يطاردني أطفال الحي
غدا حين ستتقاسمون البلاد فيما بينكم أين أروح ...؟
غداً حينما ستتوزعون الأشلاء
أين أذهب
لست من الشمال
و لا ابن الجنوب
و الشرق بعيد عني
و الغرب غريب
أنا من الوسط
وسط العالم
وسط الكون
دعوا قلبي هناك
و خذوا الباقي وزعوه على كل الجهات
ستلمني الريح يوماً

و تعيدني إلى أمي

#

كيف نحتمل هذا الجنون كله
كيف نمشي على حبل المحاذرة ... دون أن نسقط
كيف يغسل القتلة أيديهم بماء التبرير
يغسلون وجوههم بملح الخديعة

يا رب دمشق كلها
نحن ذبائحك التي لا تكف
كل أنبيائك الذين لم تعدهم أبداً
تركتهم للنسور اللاحمة
وصلبان الترك
يا رب دمشق
يا رب المدن المكسورة
المهزومة
خلعت معطف الناس و رمته للغريب
شوارع مقفرة
و رؤوس تصحو في ذاكرتها المقاصل

تلتمع بالصرخات كل آخر ليل
يا رب دمشق
اكتمل
هيء معجزات خلاصك
اشحذ سيوف ملائكتك
تدخل
نسبى جميعاً
نسبى و نرمى إلى منافي الأرض
وجوهنا طين
و أيدينا تكسر
عيوننا..... قناديل تهتز بالبصيص

يا رب دمشق الذي لا يفتأ
يدوزن آلاته في كنائس الشام
آن أن تنزل عن الصليب

#

لا أعرف ما أفعل هذا الصباح
أوقظ أصحابي الموتى
...أهز أكتاف الأمهات اللاتي متن يوم عيدهن
أسقي ورد الوهم
أقول للجميع ....لا شيء هناك ...و كل الأمور على أتم ما يرام
أقول لصديقتي الجميلة التي تؤيد القاتل
إصنعي لنا (كيكاً) لنحتفل
و ادعيني على كأس (جن) مبتكر
بطعم الليمون .. و الهزيمة
لقد انتهت المجزرة..
لم نعد نسمع أي صوت
و ستعود البلاد إلى الجنة التي كنا ننعم بها .... و لكننا فارون منها ... بالصدفة

لا أعرف ماذا أفعل هذا الصباح
أحاول أن أكون خفيف الظل فقط
و طبيعي
و هذا نهار جميل.... ضوء ...و شمس ...و بحر
أشرب القهوة
و أقول إنه نهار هائل
و نهاية عطلة مريحة...
أعضائي ما تزال موجودة رغم بنتين شاهدتهما قبل قليل على نشرة الأخبار
اسُتأصلت أعضائهما...وتبرع أحدهم بأطراف صناعية من بلد مجاور
وجهي ما زال جميلاً و مشرقاً
وأخطط ليوم طويل من الإسترخاء
أرى دويّ خبر عاجل ...هذا القصف كاذب _ أقول في نفسي_
هاهي الجموع في الشوارع تحتفل بالنصر
والبؤر الساخنة مجرد جحور و أوكار
و خطوط توتر لا تلبث أن تختفي كبثور مراهقة عارض
و الأمهات اللاتي ينتحبن تحت شجر الحدائق التي تحولت مقابر ...كُذب
(بالحمصي
و السيدة المصففة الشعر (كباربي)... على حق
إنه الوطن ...إذاً
الأم...
التي تلّم
جثث أولادها من الطرقات
و تضع مكياجاً خفيفاً
و تقف باسمة أمام عدسات لكاميرات
يرف جفنها بإنفعال خفيف
و دمعة مترددة بأناقة مصممة عند عارض أزياء شهير

لا شيء يحدث هناك
سأتصل بصديقي الذي يهددني لأنني أكتب القصائد التي لا تروق له
وأعتذر له
لقد غُرر بي
إنهم عشرة ألاف كاذب خدعوني
وأن كل ماحدث
لم يتعدى طارئ عارض
لا شيء حدث
سنمحو هذا الدم كله
و سنرمم كل تلك الخدوش
و سنتابع كل رعبنا الذي اعتدنا عيشه منذ انتبهنا الحياة
و أخطأنا الموت
ككرامة
سأتصل به
و أقول له أنا حاقد و موتور كما قلت
و الماغوط الذي جمعنا حبه .. كان ابن كلب
و الجنود الذين انشغلت بالقلق على مصيرهم .. يستحقون وسام الشرف
اغفر لي خطأي الذي أكرره
و امنحني فرصة إضافية
لأميز كل تلك الخدع
و أحتفي
برأسي المقطوع

#

لا أعرفك
و لكن أعرف جيداً أنك قتلت
تحت التعذيب
أعرف انهم سلموا أمك ملفاً
و قالوا لها : مات
ماذا تفعل أمك بملف
قالوا عمرك تسعة عشرة
و كنت غال
على ثلاث بنات أتيت
و كانت أمك تخبئك من عيون الحسد
و تحرسك
بالدمع و تحوطك بالرحمن

لا أعرفك
أعرف أمك
و مدينتك التي هي مدينتي
و ساعة موتك
كان الله يبكي بغزارة
و أنا لا أملك سوى أن أسرّع ماسحات المطر في سيارتي
.
.

#

لدينا الكثير لنحكي عنه
غداً حين سنعود
سأخبرك عن دمشق

مدينتي البسيطة والهائلة
عن الطرقات المبللة بالظل
عن بيوت الميدان المواربة الأسرار
يطل الأخضر من شق الباب .. و ساق إمرأة عار تقسم أنه حقيقة .. وهو لم يكن
سأخبرك عن بنات المدارس اللاتي يضحكن بخبث بريء و هن يراقبن هاربي الصفوف الثانوية على زوايا الشوارع و في مقاعد الحدائق العامة
عن الناس وهم يزرعون الحدائق الواسعة بالأطفال والنساء اللاتي يعددن طعاماً لسيران بسيط و يسندن رأس رجال بقمصان (شيال) بيض على ركبتهن الهائلة الحنو ... و الأصابع
سأخبرك عن سوق الشام الطويل ... تدافع الناس الذي لا يحدث رغم هائل العدد ...الموسيقا التي تضج مع أصوات تعزف ألف تنوع و خصوبة
عن الوجوه التي تعبر أصابع لمسك وأنت مغمض العينين
عن ألف جمال يعبرك .. ويترك وردة تحسر
تنهد قلبك الذي لا يتسع لكل ذاك المرشوش بالماء البارد و رائحة المازهر العميق
الألوان التي تبهرك ..ترقص على واجهة المحلات
الأمهات بمناديل تحفظهن
خواتمهن وأساور الذهب والتباهي التي ترن
لدينا الكثير لنقوله ... صدقني
كيف أن تلك البلاد اخترعت كل ذاك الأليف
الشجر والبيوت والطرقات
كيف بإبرة التأني خلقت هذا الجمال الآسر والبسيط
لدينا الكثير كي نقول كيف أن كل جرافات الغل لم تهدم دمشق
لا رائحة الكينا ولا رائحة الليمون
لا ظل النساء الرفيق ولا يد حنانهن الطيب و ابتسامة البسيط
هذه المدينة الشبقة بالأسرار و القصص التي تتوارى في دروة الأبواب والأماكن المعتمة وخلف الجدران و على سطح بيوت الطين المائلة
لدينا الكثر لنقول
أنا لا أبكي كما ترى
أمسح وجهي بسورة الرحمن
وأنزل بـأقدام عارية إلى طريق الحياة
أعرف أن ألف صورة وألف لون وألف صوت وألف وجه
أنا في خضم العالم ..أسمع رنين الدراجات الهوائية ...صوت مراهق يحذر... أوعاااااا بنغم ملتو وساخر وهو يغادر بإبتسامة ماكرة
يقاطعني رائحة الصابون .. والهيل والزعفران ...
هي دمشق إذاً ... التي في كلية خلية تستطيع أن ترى الحياة و تكتبها بقدميك العاريتيين ...غير خائف ، و قلب قوي يحتمل كل تلك القوة ...ذاك الإندفاع

#

لن تطفئ ذاكرتي أبداً
لن تغلق نوافذ دمشق على الإطلاق
لن تُرد أبوابها المواربة
لن تُهد طرقاتها ... و بيوت الطين
هذه الحرب التي اخترعها أحد ما ...لا اسم له
مجهول الأب
....رغم يد هائلة
مجهول الأم
....رغم اسم شهير
هذه الحرب التي تطحن كل شيء
لن تمحو الأكف التي تناوبت جسدي
مسح أعضائي بزيت التسامح
و أخضر التصلب
لن تطفئ هذه الحرب قلبي
الموسيقا التي تشعل أصابعي بالنشيد
الأغنيات التي يرددها قلبي عن ظهر شغف
لن تطفئ هذه الحرب ذاكرتي ..أبداً
لن يسطو عليّ أحد
هذه الحرب لن تمحو وجهي
لن تسقطني عن حبل التوازن الدقيق
و اصبع الإدانة الواثق
أنا اعرف القاتل
أعرف وجهه
و اسمه
و عدد تجاعيد قلقه

أحرفه التي تهشمت في فمه
أعرف لقيطه
و البرد الذي يعصف في ردهات قلبه
أنا أعرف القاتل
اسمه الثلاثي
ورقمه المتسلسل
و أحتفظ بكل وثائقه في درفات الفضح

هذا المعتوه الآتي من صلب البله كله
عصاب الأقل
من عرق الوضيع
يعرج من كل إعاقته
و يلثغ بكل أطرافه
....يرغي كلامه الزبد

لدي كل الأسماء التي سقطت هناك
الأولاد الذين اصطفوا على امتداد الأرض
لدي كل جزع الله حين رأى
كل الملائكة الذين أخرستهم الخشية

و إنها دمشق يا ولداه
المدن التي يقصفها الر عب
القرى التي تمحى بحثيثها قذائف التنكيل
غاز السارين الذين يُسقِطُ وردها كله دفعة واحدة
إنها دمشق التي تحترق الآن
الطرق المرصوفة بتأني الأجداد
خطوات الناس التي رسمها الرب بإتساع متعمد
كنائسها التي ترن
فتسمع آذان الصبح

لكنها دمشق يا قلبي
تتفتح في دروة البيت
و على كتف بحرات الشام
في المندلون
و زقزقة ألف عصفور لا يكترث هذي الحرب كلها

و لكنها دمشق
رائحة الطهو تدوخ أفق الله
تسكب للكل أطباق محبتها
و تفيض

و لكنها دمشق يا قلبي

رائحة الخبز ...و عميق الناس
الفقر المعلق على أبواب العرض
يوحنا المعمدان
و رأس الحسين الذي يبكي عطراً طوال الوقت
تلمسه نساء دمشق
تتحسس .... جمال محمد
و رفق محمد
و قلب محمد
و عيناه السود

و إنها دمشق يا وجعي
أقمار أعلى من كل الأقمار
و نساء أجمل ..طوال الوقت

يا رب محمد كيف سأنسى كل دمشق
كيف سأمحو كل تفاصيل العواصم التي اختصرته
وجه الجدات
الحارات التي تصعد بخفة
الحارات التي تهبط بتمهل
الجدران المكتوبة بلهاث الناس
ولمس العجائز و هم يصعدون شرفاتها الواسعة
يا رب محمد كل الكلام أقل
كي يضم هذا الهائل الذي يطير من جوانبه هذا الحمام الجزع
و هذا الخفيف الذي اسمه
السحر

تختصره نافذة واحدة تطل من فوق.

# #

"حكاية" – سطور

لو عشت بها
أو شممت رائحتها
لو عبرت على أرصفتها
مررت بأصابعك على زجاج فقرها المتعب
زرت (ابن عربي) المسجى ببساطة هناك
يوزع وجبة ليست أخيرة
لفقراء لا ينتهون....
لو عرفت أربعينها
مغارة الأخوين ، و دم قابيلها الأول
لو صعدت حاراتها... حارة ..حارة
مهاجرينها ، صالحيتها ، أوليائها الألف المتناثرين كشامات على ثوب جسدها الرقيق
لو مررت تحت شرفاتها ،
لمحت بناتها اللاتي تحت (حجابات) الخجل يشرن إليك
صبيتها .... و خط الرجولة الأول
الكرات التي ترشدك إلى بيوتهم في الميدان ...مواربة الأبواب ..كنصف
ترحب بماء يسيل من شفة بحرة (تخدق) بَرَد
لو شممت رائحة الليمون الحامض ، والنارنج الخجول
..و شب الظريف المراهق ينثر ألوانه بسخاء العاشق
لو رأيت قمرها المكسور هناك ، معلق في سماء السهر
لو عبرت يوماً طرقاتها التي تفاجئ الضوء في الانحناءات الخجولة
..لو لمرة ...تتبعت أقدام الناس هناك
على أرصفة تتجه نحو درج الإله العالي (إيل) القابع في صحن الأموي الكبير..
جانب سيدنا الخضر الذي ينام إلى جوار رأس الحسين المعلق على نوافذه دمع الناس
....لو فهمت صوت أراجيل المقاهي يهدر عميقاً ... ليتوقف هنيهة كي يتنفس
عجوز صباح دمشق الموشى بخبز التنور الساخن

يهب حقول قمح و طين مروي بعرق الناس
..و صوت بائع الحليب آت من قرى الجوار بلكنة لا تخطئها الإبتسامة
يحمل بسايتن الغوطة كلها ،
و شجر المشمش كاملاً..
.صفصاف ينحني بجلال
...و رائحة الزيزفون مغمى عليه من النشوة و الأصفر
.... لو لحظت رائحة العشب على أصابع النسوة الريفيات
...يبعن الجبن في سوق الميدان الوسطاني
...بخدود متوردة و قلوب تنبض بغضّ الحياة
لو يوماً فهمت ماذا يعني أن ترى قبورها مزدانة بالآس تتوسط البيوت و تزفر مع الناس صباحات الولادة
لو مررت بطريق المدرسة القديم طريق الزاهرة
....لا تجرؤ أن ترفع عينيك بعين حبيبة أولى
..كي لا تهتك سرك ...فينفرط الرمان
لو تعرف أبو جرش و أمي و غمازاتها التي تومض ضحكات تهزأ غيرة أب عاشق
...لو قصت جدتي لك كل قصص الجنيات
.....و غنت أغانيها الفاحشة تلك (مصهصلة) دون اكتراث لشفة أمي التي تعضها أكثر كلما (غمقت سردها) من الخجل ...والغيرة!...
و جدك الهرم الذي حارب بفلسطين و قضى يئن يائساً في 67 ...قتيلاً أمام (صوت العرب من القاهرة) دون رصاصة واحدة في حرب لم يخضها أبداً
لو ... لمرة عرفت كيف فيروز تسلمك سلال أغنياتها على الطرقات
تسلمها من بيت الي بيت و من حارة إلى منعطف
..تصعد معك الميكرو ...و تهبط و إياك من السيارة ...و تتعقبك في المحلات المفتوحة للتو ...و باحة المدرسة المشرعة .. و حصة الرياضة في معسكر التدريب الممل
....من المؤكد أنك لم تجرب سر الغرف العليا...
و لا سحر الإختباء في الكتبية
...و استدراج بنات الجيران هناك
....و قصص العيب الأخرى التي لا تجرؤ ذكرها هنا ...و يحدسها الجميع
من المؤكد أنك لم تستنشق رائحة المطر الأول على جدران الطين لبيتنا الهرم ذاك
... واضح أنك لم ترى حبكة الله بإبرة التأني في كل تلك البيوت التي ترتص أسفل الجبل العظيم
...تجاورٌ يكاد يخيط خط المسافة بتزاحم و عناق لا يكف
.واضح أنك لم تلحظ كل ذاك الحمام الذي يتيه طويلاً في سماء عالية
...و مآذن تشهر صوت عبد الباسط رخياً في عصر صيفي مغبر ....مغبش بسحر لا يقاوم و رائحة عطر غامض يفوح من سره الصمت
مريب كوجع لجمال آسر ... يعم المكان ....و لايدركه أحد
. لو ولدت هناك من سرة الحياة
و رحم العالم التي تظن
من مدرسة تشبه مدرستك...

يعبرها نهر يتلقف البرتقال الساقط خوفاً من تحية العلم التي تربكك بتجهم
يتبول الخرس في سرواله الطفل
.....و من حارة تتوسطها (الفيجة) متدفقة من حنجرة الأرض
....لو ضربك ذات الأستاذ و حقدت عليه مثلي
.... و ستنتقم منه كما لو بعد ألف عام
لو تسللت أسفل الطاولة و شاهدت ساقي أنسة الفرنسي العاريتين
مُدّعياً ممحاة ضائعة ... كلفتك كفين رائعين.. كنشوة
...لن تمسحها الأيام الطوال أبداً
لو ظننت أن كل المدن هامش
....و مدينتك هي الجذر
لتكتشف العكس لاحقاً
و (بحيونة كردي عنيد) تصر على نظريتك تلك
... لو كنت كل ذلك
وعشت كل ذاك
ما فعلت إذ... فعلت
.... لو ....لو....

#
لي دفاعات لا تُهزم ..
بيتنا في ركن الدين
أمي
ستي (ميرو (
كتبية جدي
المندلون
الليوان
اختلاسات الطفولة تحت السرير
سرقات ليرات من فضة ترن من جيب أبي
شعري الأشقر المقصوص في السادسة ... و ثمة ضفادع ملونة تتقافز على كتفي
لدي زيزان برتقالية أحبها
أسراب نمل أحرقها
شجرة كرز .. صديقتي
عادة سرية استدعت كل جسد مستحيل
بلوغ مرغني بشهيق السرير
طفولتي التي لا ذاكرة لها
...لدي الكثير مما لا يستطيع الرصاص أن ينفذ منه

أولاد لا يتركونني ألعب أبعد من البيت
تخيلي أنني أستطيع أن أحذف الناس بمجرد أن أتمنى موتهم .. فيموتون
نساء يدللني كهر
لدي الكثير مما لا يموت و لا يبلى
إغماضة عيناي
سماء دمشق الأقرب
لسعة برد صباحات المدرسة على عنق الولد
تحية العلم التي أكره
الدكتاتور الذي لا أكرهه أبداً
أحتقره .... أحتقره و حسب

....يتبع

#

ليلى
....

لأنه وطن مرهف هكذا
و صغير و نقي
مثلك
حاصرته كل تلك البنادق
و لأنه لا يعرف اسمه حين طلبوا منه بطاقات التعريف
و لأنه مثلك يا ليلى شقي و رقيق ... وله غمازاتان رائعتان من جهة القلب
...احتال عليه الجند
ألبسوه ثياب ليست على مقاسه
دفعوه الى الخدمة الإلزامية
و من ثم مسحوا الأرض به
حولوه إلى كرسون
و متعهد حفلات
وللملمع أحذية
و سائق للمعلم
و)جليسة) للقروية الآتية من بعيد توحشها
حولوه لبنك
و لمصيف
ولإستراحة
و لمبولة
و لبلاد يشحدون على أطلال رثها
لأنه بلد ورثوه على حين غرة
رموه دون اكتراث تحت هدير دباباتهم يا ليلى

ولأن ذلك الجنرال
لا يستطيع ان يقرأ لغة القلب يا ليلى
لم ينتبه للأقمار السود في عينيك

ولم يلمح شريطتك الصغيرة
والفراشات التي تطير في كل مكان حين تعبرين
ولم يستوعب رسوماتك الحرة على جدران الأرض

_:أريد سماء أعلى
و غيوم بلون الأجنحة.....

بدأ بقضم أظافرك الصغيرة.

انه يطلق الرصاص يا ليلى بكل اتجاه
أصاب ملاءة سريرك الأبيض ...و طرف من خريطة فلسطين التي تحتفظين قرب الوسادة
أصاب ذعرك و أنت تلمحين خيط الدوي ... يعبر تحت سجاد البيت
وأنت تسألين أباً عالياً يطوقك بذراع القوة
من أين يأتي هذا الدم كله ؟

يا ليلى
يا ليلى
إنه بيتنا الصغير التي تقصفه طائرات صديقة
نموت كلانا يا صغيرتي تحت وابل نارها التي يدهشنا مكرها
من أين أتى فجأة هؤلاء الجند بثياب صديقة
كيف تسللوا الى منتصف أعمارنا ، أكلوا معنا ، وشربوا معنا ، تبادلوا النكات معنا...
وفي الصباح
وقعوا بسكاكينهم
حبراً لا يمحى

انها نار صديقة يا ليلى
وشقيق اكتشف فجأة أنه سيجرد من رتب استعلائه و سوط السائس
و سيحال على التقاعد
و هو يا ليلى هرم جدا
و مليء بالظل و الثقوب بالظنون و الهواجس و الحذر ... منخور بالجريمة و الأقبية ... و ثمة حفاري قبور (أصدقائه (يسهرون كل ليلة معه يدغدون وحشته بالرقص
ليلتهم كل يوم واحد منهم على سبيل الضجر

أنه يقتل كلانا يا حلوتي ... وطنك المخبيء في زجاجة ملونة كلما ترجينها يجن الإلتماع
و أمك التي من رائحة الكباد و النارنج الدمشقي
من النظافة و الترتيب لأمهات الشام
من رائحة الغسيل الـ بيشهي و شراشف البياض
من التدبير و المداورة و الصبر الإحتمال

من الإتكاء على الله كل صباح
و ترك نوافذ الرحابة لحمامه للهطول
من دمشق يا ليلى التي سترفعين رأسك يوماً أكثر
لأن خيط الذهب الـ يلتمع في روحك أتى من نسل ابتسامتها
من رقة قلبها و تسامحها و مصافحتها للغريب
دمشق ياليلى ...
دمشقنا
التي لنا
و تلك الإبتسامة التي
لا تتخ

و لا تموت

#
مجزرة دير بعلبة
....

ممددين على امتداد الأرض
دمنا يتجه إلى قصرك
أصابعنا تشير إليك
أعيننا تغلق جفني قلبك بوشم الخرس

ممددين موتى نحن
أيها الخائف منا
لا تجرؤ أن تنظر إلينا و أنت تغادر
...تقتلنا على عجل
آخر الوقت
بأقوى ما فيك كي تنتهي منا ... و لا تنجو
تقتلنا ... و أنت لا تكف عن الدهشة كيف ننبت حول سرير استرخائك
قلق لا يكف

لن تسمع الموسيقا بعد اليوم

و لن ترى أطفالك بعد اليوم حتى لو رأيت
ستتقلص أكثر كلما طال ظل خوفك خلفك
امسح سكاكينك من دمك الآتي
دمك المؤجل قليلاً
جرّ جثثك تحت سرير الغفلة
و قل..... لم انتبه

تتساقط البلاد منك
تتساقط الجدران حولك
كلما تجد السير ..تعود إلى الخلف
كلما أردت أن تمحو يدا أبيك الآثمتين عن جدارنا ...تتلطخ أصابعك أكثر
كلما تريدنا أن ننحني ... نهب أعلى

ممددين قتلى أمامك
نرصف طرقات دمشق إلى الصعود بنا
نحن ذاكرة التاريخ ...انت العابر كريح السموم
اجمع كل مشوهي أقبيتك
مسوخك
جنازيرهم
وشائع صعقهم قلوبنا
اجمع ضماداتنا كذكرى
دموع أمهاتنا ... كقرائن
إجمع سراويل الأطفال التي تبولوا فيها من الخوف قبل أن تفاجئهم سكينك المتعثر
يا عدونا الذي سيدفنه موتنا

يا عدونا الذي تهبنا الحياة.

#

من سرق قمر دمشق ...؟
من أطلق سبع رصاصات
على ظهر قاسيون ... و لم يمت!..
غافل البيوت المضاءة هناك ... و انهال بالصفع

من ترك أرجوحة واحدة تهوي
إلى أبد العتم ... دون عودة ،
من سرق كل حبات (الأكي دنيا(
من سطح بيتنا في (الساحة(
من أيقظ الجد الكبير من شروده الطويل هناك ...؟
من نزع المسامير التي تنغرس برفق قوس الباب المنحني..
الكف النحاس التي تضرب بذهبها العتيق .... فيئن الخشب.

من غافل أساور (ثريا *(التي (تُخشخش) بشغب في أرض الديار ،
القطة الزيتونية التي اختفت هي الأخرى

من سرق قمر دمشق
صوت (طاسات) الحمّام التي ترن
الضباب الذي يشهق بالضحكات ...و لمسات الممنوع
الذي يحضن بياض ثمين
أعضاء تغفو بدعة
تهب ماء الحياة
....سيلانها المُشّع.

w.l______________________

ثريا* ... جدة كبيرة.

#

نتكاثر موتاً...

16 يناير، 2012، الساعة 10:54 صباحاً
======

إنهم يقتلوننا يا أبي
يجرّون جثثنا ...على شوارع عريهم
.. يقصفوننا بالصوت
ليطفئوا ألواننا الصاخبة

حبالنا التي تتأرجح بدمع الأغنيات

إنهم يحاصرون نوافذنا
و يطلقون غاز النوم
على أعمارنا
...فنصحوا
إنهم يطبقون أجفان قلوبنا
سمائنا التي نحرث
ببغال الأمل الشقر
إننا نتكاثر موتاً يا أبي
تحت جُنح مدن ترّتج
تنجب أولاداً يبتسمون في نومهم الأخير
و يشهدون الله
أن يطمئن مجده على الأرض
.... إنهم يصادرون المطر
يخنقون سطور البحر
يُزيحون المدن عن مسار الطرق الترابية
لجمهور حاف
تعرف شقوق أقدامه العمياء
طريقها الواضح
ينّقبون تحت أسرّة الغيم
و خلف ستائر الغيلة
إنهم الأن
يبحثون عن (كشتبان) جدتي
و خيطانها الملونة
أزرار انقاذ عرينا
في اللحظة الأخيرة ،
الرُقع التي تحيكها
بخرق الضحكات
إنهم
يهدون تنور القرى
و يخوضون في روث الصعوبة
و جدار المستحيل
......سهولة موتنا
الذي يظنون

××××

#
نمش

انتهت الحرب
ها أنت تلم كل نياشين قلبك التي تساقطت على بلاط الهلع
... ترّتق ثقوبك ... بأكف القلق
تمسح المرايا ...كي تخفي شارب دقيق
لا يفتأ ينمو ...كلما محوته
فوق شفتي ارتعاشاتك...
انتهت الحرب
لُمَ دموعك التي تساقطت
رغماً عنك
لتخفي عرجك الخفيف
و الذبابة التي تحوّم في رأسك طوال الوقت
كذنب...
احضن امرأتك جيداً
شد ذراعيها حول عنقك
أنت خائف _ ربما _ قليلاً
والأطفال موتى ... لا يكفون عن البكاء
و الدم ... يزرب من صورة العذراء ...في كنيسة (حنانيا)

احصي زيتونك الذي تعمدت تفحمّه
النخل الذي أبرّته ....بلُقاح الغريب
ادفن وجهك في ثدي أمك الذي قضمته...
اصعد جبال لهاثك
و اقذف بك
نحو نسيان ما.....
لن يحدث ! ...
فأنت ما زلت لا تفهم
لماذا كلما فررت منك ...تعقبك خيط دم مستمر...
وكلما فتحت صنبور الماء ... يتدفق الصمت غزيراً
يحاصرك ... بالهتاف
كلما رفعت وجهك في المرآة
يباغتك ضوء ساحق
... يخفيك بلطمة
كلما أردت أن تستند إلى مخدة استرخائك الآمن

تئن الجثث
تحتك....
انتهت الحرب أيها الولد المشاكس
كل نمشك الطفولي
لن يغفر لك....
يديك الراشدتين.

#

نوافذ ... لدمشق
18 يونيو، 2012، الساعة 08:44 صباحاً

ستدفعون ثمن سخريتكم غالياً
أقدامكم التي تدوسنا بمرح ،
انخفاضكم الذي يستسهل جباهنا العالية
و يوغل .
هذا الحقد الذي تشهرون أسلحته اللامعة دون خجل ،
هذا الغل الذي يقذف كل ذاك الإرتجاج
يداهم يومنا و يخلع قلوب أطفالنا... يقتلهم على سجادة الصباح
... و حول مائدة نهار أعمارهم الغضة .

ستدفعون ثمن أقبيتكم التي زرعتم ،
لصوصكم الذين امتهنوا الترزق على دمنا .
ستدفعون ثمن وجعنا .... و الصفعات في الطرقات ، و الحافلات ، في الحدائق ، و الحانات ، و دور السينما ، و الملاعب ، و المكاتب ، و الدوائر......

في كل مكان تسرب إليه عوائكم الآتي من وديان الذعر
عميق جنونه .
أنتم متطفلوا مائدتنا ،
سارقوا لقمة أطفالنا ،
هادموا أحلامنا ،
هاتكوا قلوبنا المُشرعة للنقي ،
و السريرة .

أنتم من كسرتم ساق التجربة
و أرغمتم الناس على الواحد
الفقير
نسفتم النهر _ الأغنية _
زرعتم رقرقته بنجس مجارير توحشكم
رائحة جثث التهامكم
الذي لا يُدرك....

نحن هدير المدرجات الآتي
هدير هذا القهر كله ،
و هذا الدمع كله ،
و هذه الخصوبة التي تلد .
لن يستمر غيكم طويلاً
ستحاصركم جرائركم ، و جرائمكم ، و ما تفعلون
سيحاصركم هذا الإحتقار ، و العواء المتوحد الذي تعانون
هذيان الدم المُلتاث ، الأصابع الملوثة الـ تدمن الجريمة
و فقدان النطق .
ستحاصركم عيون الأطفال اللامعة التي سقطت نوافذ كاتدرائياتها
بقصفكم الأعمى ....
قصائد (نزار) التي ثُقِبَ أزرقها ..... و سال دمع الأمهات على حرير توجعها
.... أنين

ستحاصركم مآذن البلاد
طرقات تركض حافية في حاراتها التي تلهو كرة الحياة ... بلا اكتراث
ستقتّص منكم أسواق الشام التي تلد كل المدن بألوان مزركشة ، و لهجات ترطن
طرافة ... و غِنىً
ستقتّص منكم مكتبة الظاهرية بكل عجوز ثِقلها الحجري ... الجامع الأموي
العتيق ، ذهب جدرانه المتساقط فوق الناس .. نُدف ذهب ، سوق الجمعة الأخضر
، مدحت باشا الذي يمشي حَذِراً جوار سوق شقيق أكبر يأخذه من يده اليمنى إلى
قوس منسي ،
تتساقط أحجاره تباعاً ... يُدعى (باب شرقي) في جهة
هي الأيسر من القلب .
سيقتّص منكم كل ما حاولتم إلتهامه بمسننات الجرف ، و الجشع و النهش .

لن تنتهوا من دمشق أبداً
لن تمحوها ... بزرع الثكنات أعلى الأبراج و المداخل

_كل الأقبية التي حفرتم وركها
سيدملها الحب....
كل الجروح و الأحياء التي جرّفتم رحمها (بكورتاج) مُستعجل ... لم يقتل الجنين
كل من طردتم منها ... بالهدّ و التنكيل
كل (بحراتها) التي تتوسط بيوتاتها المواربة الأبواب
لن تنجوا ...... من ترّفعها
بالتوحش و البداءة التي تزرعون طوال الوقت
كل أحياء الفقر و العوز التي أحطتم أحيائها
كل الريف الذي هجرّتم عنوة .... بعد أن حقنتم أرضه بوراً ، و هتكاً ، و اهمال

ستقتص منكم أساور الأمهات
(مباريم) الجدات
تباهيهن المُعتد ،
تجاعيد حكايتهن الفاحشة ،
أغانيهن ،
أعوادهن التي غنت قبل ادعائكم التحضّر ... بقرون
زخارف الجدران ،
البسملة ...... و قل هو الله أحد فوق الكتبية ، و المشربيات
تزيينات السقوف التي تتدلى باللون والألفة
فيلم (أحلام المدينة) لمحمد ملص
الأم التي تقبّل يد رجل عاتِ
و تضم ولد....

لقد كسرتم كل نوافذ الزجاج المُعشّق في قلوبنا
أطفئتم رائحة الكباد
و بلاطات يتجول أخضر زمردها .... عروق ترقص
برودة تذكر طعمها أقدام طفولة عابثة تركض حافية تحت سقف صيف قائظ

لن تمحوا (ملايات) الجدات المُتحفظة
مناديلهن السميكة
تمتمات أدعيتهن ...طوال الوقت
ثرثرة النسوة الطويلة خلف باب توديعهن ... يزعمن تأخر عن موعد طهو و عودة مدارس قريب ... و رجل لا يناقش أبداً .
لن تهدموا (مندلونات) السر ... و (ليوان) يكتب بحبر الصمت سيرة العائلة... (ستاتي) بنية رشيقة تتجول بحرية المكان .... وعصافير لا تكف عن صخب الحضور
إعلان الصباح

لن تصادروا الأعراس ، و الزغاريد
خفة ظلها و الوصف ..... رشاقة الرقصات ... خجلها المُتحفظ
مجونها اللماح .
لن تهدموا نوافذ الشام التي تتكاثر صعوداً أعلى قاسيون
لتلمس إله الدعوات بإصبع رجائها ، و التوسل
أسراب سنونو شتاءات ضائعة ، تجرح الأفق بأجنحة حزنها الأسود ،

حبال الغسيل التي تهتز برفق ،
ملاقط جاثمة تقبض على حلمها رفيفاً أبيض لوشاح صبية حزين ،
أسطح الذكريات المائلة ،
مزاريب تتعثر بمطر أول
.....أبواب التلصص الألف ،
و لحظات استراق الممنوع ،
اجتماع النسوة ... طهوهن الحياة بقدور مرحهن الهائلة الحجم
توزيع صحونها على الجيران ، و العابرين صدفة .

لن تخلصوا منا
لا تكفي أحذيتكم الثقيلة الوطأ ...لسد الأفق
جعب رصاصكم المحدود التكاثر ... أرواحنا السبع الـ لن تزهق بسهولة
كقطط جنية لا تسقط عن جدران البقاء و التشبث .
غريبكم الذي يطأ أرض ليست له
بغباء مفرط ،
و عُند أحمق ،

لسنا أضحيتكم على مذبح نبي زائف
لسنا قربانا يقدم لألهة ضلال مُنتحل
و لسنا مسامير ذاك النعش الذي تعدونه
بمرح يُصفّر ثقة
أيها الموتى
أيها الموتى

#

هدوا الجسر يا مثنى
أسقطوا كل الطيور التي تعبر هناك
قافزوا النهر ... يحلقون عالياً و يختفون قنادس من براعة ... و إلتماع من انتشاء
هدوا الجسر يا صديقي
ظنوا أنهم يصيبون (لكنتك) التي أحب
:_ (اشتقتولك) وفائي ... يغور قلبي من الوجد ... و يأخذني ذراعك القوة ناحية الصدر
....أنت لا تعرف ما معنى الجسر يا صديقي بالنسبة (للديريين) ... يؤكد بعناد..
: _ نشوة أن تتحرر أعلى و أنت تنزلق أسفل
أن تمد شراعا يديك .... فتصير إله
أن تشم رائحة الكون في أنف تنفسك السريع
دعاء الأمهات شهيق خوفهن الذي يرتجف
أن تأخذ معك و أنت عالياً تجدّف بحر السماء كل بهجة الحياة التي كنت ...
رائحة حبيباتك ، زهوك النبي في فراش الرجولة الأول ، فحولة الصببية المُعتد
..حليب العذارى الـ ينفر بين أصابع خشنة غير مدربة تماماً ، تجيد قطف نظرات إعجاب نظارّة لا يكفون عن التلويح ...
أنت لا تعرف كم أخذ ذاك العالي و السامق تحته من قامات الرجال ، و زند الشبيبة متدفقاً بماء الخصوبة الصلب ...لا يكف الرجال عن قهر الرغبة بالحوم فوق جليل ذاك النهر
و إلتقاط سمكة المستحيل .. بمنقار المجازفة
أنت لا تعرف يا وفائي ...
يقول مثنى
و ... يغيب بالدمع

#

هذه الحرب ليست لنا
جاءت في وقتها الخاطئ
كان يمكن ببساطة أن نلتقي الاسبوع القادم ... مثلاً
و ها أنت محتجزة في حي يقع بين حاجزين متناقضين و أكثر من قناص
ها أنت تضللين مراياهم بوهجك
و كلما أشتد القصف تفتحين نافذة للقمر
و بلاصق شفاف تجمعين أجزائه المتناثرة
ها أنت تلمين فوارغ الرصاص و ترمينها على البلاط ... تقولين انصت .. لها رنين ساحر
و هي فارغة
تحتفظين بقصائدي في دفتر يومياتك وتضعين تحتها اسم وهمي كي لا يتنبه أحد إلي.
نخطط سوية لنهرب إلى بلاد أخرى كلاجئين
ها أنت تعبرين بخفة أكبر كلما اشتد صوت الرصاص
اطمئن عليكِ من نشرات الأخبار ... تطمئين عليّ من أسماء المعتقلين
نحن من مدينتين على نفس خط العرض يتقاسم تهديمها طاغية واحد
يلثغ بأحرف كراهيته بينما نحن نكتب القصائد

#

هنا دمشق
صباح الخير للعالم
للعواصم التي لا تشبهني بشيء
التي ظنت أنها أجمل مني
و أعرق
و ألطف
و أقرب
صباح الخير للعالم الذي ولد من رحمي

من الضوء الأول لبولس الرسول
من غيمة تظلل وجه محمد .... النبي الوسيم
آت من صحراء العطش

صباح الخير
هنا دمشق
هنا العالم.
لي أطفال يلعبون في ردهات الحارات الخلفية
عيون تتلصص المندلونات العالية
و الشرفات والنوافذ التي ترمق طريق باب توما المتعرج وأنت ذاهب إلى الكنيسة
لي قهاو تستريح على جوانب الطرقات
تضع زوادة الفقر وكأس المليسة الأخضر
ورائحة العراتلي المتساقط من عيونه ندف بياض
لي طرق مرصوفة بألف أذن اصغاء تستوضح من عبروا
أسواق طوال لبشر يحيكون يومهم بخيط الأمل
هنا دمشق
هنا أول خطوة حين مشى الزمن
واستقام
الحسين المنهك قلبه بالدموع والنهنهة
و جامع بني أمية الكبير
هنا الحجر الهائل الذي يسند ظهر الأرض
هنا ألف ولي ٍ صالح .. و ألف ألف مئذنة
صباح الخير
هنا دمشق
هنا دمشق.

#

هنا سوريا
:::::::::::

لأنها بلادي التي لا أحد الأن يصدقها
و لأنها التي أشرحها لصديقي الآن من (الجهة الأخرى) و هو يناقشني أنها سواها
و لأننا لا أملك أوراقاً ثبوتية للون الكحل الذي يخص عينا أمي داكنه العميق
و لا أملك أي مستندات للمحافل التي ترفض أن تفهم أنني لم أنتبه أن كل أصدقائي يوماً كانوا من الأقليات حتى تكاثروا عليّ
لأنها بلادي التي أحفظها خطوة خطوة
و هنالك الآن من سرق من أرصفتها خطواتي
و بَالَ على كل الأماكن التي زرعت بها ذكرياتي البسيطة بحنان جارف
لأنني لا أستطيع أن أقنع يسارياً حزن لرفات صحابي جليل نبشت
و لم يسألني عن مئة ألف تم دفنهم أحياء جميعاً و كان على أهاليهم أن يحافظوا على رباطة الجأش و أخلاق الفرسان و الإحتفاظ بحق الصمت إلى الأبد
لأنها بلادي التي اكتشفت ببساطة أنها مجهولة سواي
و أنني ابنها الذي فشل في امتحانات الشرح
أطرح العالم من معادلة الخلاص
مشيراً بإصبعي الى جهة القلب
هنا سوريا ....
هنا الأرض التي لم تشموا رائحتها
و لم تدخلوا بيوتها
و لم تروا إلا مسلسلات زائفة عنها
ولم تقرأوا إلا قصائد مشحونة بمبالغات جوفاء لبسيطها الحميم
هنا دمشق يقول لك الظل حين تأتي
ورائحة الزعتر والغار و الناس الذين يتجولون كل ذاك المكان بتآلف العاشق
البلاد التي تم رسمها على ما هي غيره
و تصديرها كما يريد لص سرقها قبل أربعين سنة
وضع لها أسنان فقر مخلعة
و خلع ثوب أناقتها و حولها الى التسول والفقر

هنا البلاد التي قبضها العسكر و أرغموها على المومس
البلاد التي ببساطة هاجمتها أحقاد الغيرة الآتية من عقد النقص و القصور
والتواضع
هنا بلادي
عروسة اللبنة
و جدتي
و بحرة بيتنا
شورتي القصير
قمر بدوي
درابزين البيت
سطحنا العالي
النساء اللاتي كتبن قصة العائلة
الرجال بأدوار هامشية
هنا دمشق
هنا قصة لا تنتهي
و اعتداد لا يفهم المرء لماذا فتي هكذا ، و مشدود هكذا ، و عالي الرأس هكذا
رغم كل محاولات السلب اليائسة
و الرصاص العابر
في صفحة التاريخ

#

و أنا أجلس في "مول" هائل
الفراغ يرن أجراسه بقوة
أبتسم لي بخبث
و أغمز بطرف عيني
-: "نجوت يا عرص"
ها أنت حي ترزق
لقد ماتت بلادك كلها
و تمزقت شراشف العائلة التي لطالما تعمدتها بسجائر حقدك
حصلت مثل كل طاغية على ما تريد
و لديك حبيبة تلهث خلفك
و أصدقاء تركلهم بعيداً بقدم تعاليك

لقد نجوت
ببلاد أقل
و إمكانية فرار أعلى
بحمامات شمس آمنة
و قبعات أدوار لا تقبل الشك
لقد نجوت ...
لديك جمهور مشيعين
و قتيل هو أنت
يحملونك على صليب أخطائهم
ويقيمون موكب عزاء طويل
لقد نجوت
ها أنت تلتقط الصور
بقميص مفتوح
و سلسال ضاحك

و لا مبرر لكل هذا البكاء

#

و إنها دمشق يا ولداه
المدن التي يقصفها الر عب
القرى التي تُمحى بحثيثها قذائف التنكيل
غاز (السارين) الذين يُسقِطُ وردها كله دفعة واحدة
إنها دمشق التي تحترق الآن
الطرق المرصوفة بتأني الأجداد
خطوات الناس التي رسمها الرب بإتساع متعمد
كنائسها التي ترن
فتسمع آذان الصبح

لكنها دمشق يا قلبي
تتفتح في (دروة) البيت
و على كتف بحرات الشام
في المندلون
و زقزقة ألف عصفور لا يكترث هذي الحرب كلها

و لكنها دمشق
رائحة الطهو تدوخ أفق الله
تسكب للكل أطباق محبتها
و تفيض

و لكنها دمشق يا قلبي
رائحة الخبز ... و عميق الناس
الفقر المعلق على أبواب العرض

يوحنا المعمدان
و رأس الحسين الذي يبكي عطراً طوال الوقت
تلمسه نساء دمشق
تتحسس .... جمال محمد
و رفق محمد
و قلب محمد
و عيناه السود

و إنها دمشق يا وجعي
أقمار أعلى من كل الأقمار
و نساء أجمل ..طوال الوقت

يا رب محمد كيف سأنسى كل دمشق
كيف سأمحو كل تفاصيل العواصم التي اختصرته
وجه الجدات
الحارات التي تصعد بخفة
الحارات التي تهبط بتمهل
الجدران المكتوبة بلهاث الناس
و لمس العجائز و هن يصعدن شرفاتها الواسعة
يا رب محمد كل الكلام أقل
كي يضم هذا الهائل الذي يطير من جوانبه هذا الحمام الجزع
و هذا الخفيف الذي اسمه
السحر
تختصره نافذة واحدة تطل من فوق.

#

و تحت أنقاض بستان القصر حبيبي
طمأنوني على سواد عينيه
هالات الحزن تحت جفنييه
أنفه الذي ينتبه
فمه القبلة المؤجلة

و تحت أنقاض بستان القصر
صمته المطبق
لكنة توقظ قلبي كلما أغمي عليه
ظلاله التي تعبر ردهات بيتي
كفه التي تومي
مستند قلبه كما كل الصور المتعبة
بخيل ابتسامته التي أنتزعها غصباً
فأورق

و تحت أنقاض بستان القصر انطفئ قمر
من يدلني إليه
أضع أذني على قلب الأرض لأنصت
لعل حشرجة نشيج
صوت طفل
أو همسة
لعله حرك ذراعه أعلى
أو ذكر اسمي

يارب قمر حلب المستدير
يارب طرقاتها كلها
مآذنها وحاراتها ... أريد حبيبي
تحت أنقاض بستان القصر هوى من يومين
لا جرافات تستطيع أن تنشله
لا نشرات أخبار ستغطي عري قلبي بخبر أقل
لا ابر و لا مشارط ترتق جرحي
و توقف النزيف.

#

و تشيرين إلى قلبك ....

1يناير، 2013، الساعة 02:56 مساءً

لا تفتحي له الباب
صار عدوي
إن سألك عن عنواني قولي له ... راح
إن سألك عن اسمي قولي له تغيّر
إن طلب جرعة ماء
أعطيه من ثقب الحذر
اسقيه .... و عدي أصابعك
إنه ليس صديقي
إنه ليس ابنك الآخر ...الذي قلتِ لي يوماً
لقد عضني في قلبي
... ها هو الآن يحتل أسفل بيتك ... بحاجز
يضع صورة ميتة لرجل شاهق الصمت ، و يصلي أن تُخرجي رأسك من النافذة
كي يُحقق هدفاً جيداً
.... لا تفتحي الباب له
إنه الآن في الجهة الأخرى
و أنت يا أمي ليس لديك سوى (عروسات) اللبنة ،
و الفواكه التي تحمّلينها لأصدقائي كلما جاؤوا يسألون عني ،
تطمئنيهم ، سيعود .... إبني وأعرفه
و تشيرين إلى قلبك
تُصلّين الصبح الآن ... و تتمتمين الدعوات
أجراس الكنيسة أسفل البيت ... ترن
و (صديقي) يُلّقم بندقيته .... و يتابعك من كل نوافذ بيتك ... يريد قلبك يا أماه
قلبك بالذات
فلا تفتحي له الباب ...أبداً

لا تفتحي الباب له
إنه الآن في الجهة الأخرى ...
و آياتك يا أمي هذه المرة لن تفلح
تطمئنك فقط

.... سيعود ....تقولين .... إبني و أعرفه
و تشيرين إلى قلبك
تصلين الصبح الآن ... و تتمتمين الدعوات
أجراس الكنيسة أسفل البيت ...ترن
و (صديقي) يُلّقم بندقيته .... و يتابعك من كل نوافذ بيتك ...يريد قلبك يا أماه
قلبك بالذات

فلا تفتحي له الباب ...أبداً
إنه من الجهة الأخرى

#

و تلك البلاد
جدار نتكأ عليه
و ننهدم
نحتمي بطين الكتابة الأولى
و بخرز (يخزي (أزرقه العين ، و قل الله أحد
و تلك البلاد التي هجّ أهلها
رفوف جنون
غبار طلع هاذٍ

زغب شمس مُذّهب يحوّم في الأفق
مثل الحزن الذي يتنهد

و تلك البلاد
كتبنا كل إشاراتنا هناك ، و الرموز
أسماء حبيبات أُول
أرقام ما عدنا نذكر أسبابها
بصمات طين تركناها تؤرخنا حين نعود بلا أصابع
إرتجاج الأبواب التي تنهمر في القصائد ، حين تستعيد طَرقَنا المُستعجل
)لمبات) تسهر طوال الليل تحمي هلعنا بحضن آمن
جرسٌ تتسابق الأقدام ، و دقات القلب لتستطلع المفاجأة
تلك البلاد
مرايا ، و خطوط متعرجة ، خدوش كأنها نمش
عِميٌ نصل إليها
عِميٌ نتلمسها
و نستند قبل سقوطنا الأخير

و لكنني كنت أحرس الورد في زريعة أمي المركونة في الظل ...تلوذ بالآيات وتسبيحات الصباح
حبال الغسيل التي تتمرجح عليها القصائد
بنطلونات أبي الواسعة التي ينفخها الهواء
فأنكمش
فساتين أمي التي تطير لخفتها البالغة أزهار البرتقال التي بحثنا طويلاً ... ولم نجد
.
سطح بيتنا المائل
المندلون الذي يخفي سراً ما
كتبية الجدات و أزرار ملونة و خيط مرتبك و إبرة إمعان لجدة لا تخطئ قُطبة الغرز
...نتأوه

و لكنني كنت أحرس حنفية البيت الباردة
و صوت أمي الذي يكرره الصدى
تنادي أولاداً يتشاغلون بخبث عن شراء الحاجيات كي لا يفوت قطار اللعب دقيقة دونهم
ألملم المحفظة التي تناثرت دفاترها على امتداد الأرض
مرحات الآنسات
العشرات بالأحمر
و الأحسنت

صوت الجرس
الصفوف
الصدريات البنية التي تعلو قباتها فلورات البعث بجوزاتها البلاستيكة الحازمة
الخنق
لقد كنت أحرس قبر جدي بأبو جرش
و صوت الأذان
و رائحة الغسيل ، و كشتبان أمي الذي يرن بفضة إلتماعه
و رائحة الليمون في أرض الديار
كنت قبل أن يأتي الغريب
أنشغل بتضميد الورد ... وحرق النمل العاجز دون رحمة
و الإنسلال الى جسدي الصبي بأصابع الإختلاس
قطف خوخ اللذه الحامض
لمس البثور التي تخلفها الذنوب على وجه الخجل
كنت .. أود
قبل أن تقاطع حياتي برصاصك
قبل أن ترمي على سقف قلبي القنبلة
قبل أن ينفجر الصاعق الذي أخذ أصابعي
و نثر على جسدي ثقوب نمشه
كنت أود أن أتجاوز الحاجز
قبل أن يأخذ الصبي مني
و يعيد إليّ الراشد .. الراشد جداً
يعيد إليّ ...الإنتباه

#

وردة من بكاء

هناك
في غازي عنتاب
سأشم حلب
سأقف على خط النار البعيد
بوابات الدخول إلى البلاد المغلقة
البلاد التي تم قبضها بكف الغل
وأصابع الفولاذ
هناك في غازي عنتاب
حيث الوجوه ليست غريبة
الأكف هي ذاتها
العيون التي التقطت الصور
القلوب التي انهارت دعائم روحها
هنا بالقرب من البلاد المسجاة على نقالات الاسعاف
وفي المشافي التي خبأها الذعر في الأقبية
سأرى غبار الرب التي تعلو
الشجر الذي يهيم
الجبال التي تخفي معالمها بكف الخجل
السماء المخضوضة عينها بالدم
سأرى الرائحة المطعونة بالسكاكين
المدن التي تم اغتصابها في الزنازين المغلقة و أنجبت كل ذاك الهذيان
يا رب الجنون كله
بلادي على بعد خطوة
و أنا كسيح
بلادي مرمية للكلاب الضالة .... جيفة
أمي هناك تغسل قمصان الدم تباعاً
يا رب كل تلك الذاكرة
هذه الوجوه التي تتجول بالقرب تحمل نفس الرائحة
هذه الأقدام المقطوعة
و الأكف التي فقدت الأصابع
العيون التي أطفأت
تركت الأجساد بعض تذكاراتها هناك
كي حين تصحو البلاد من (البنج (
تعرف أن لها أبناء
تتعرف عليهم
تتلمس ما تركوا لها...
تستدل إليهم حين يأخذونها إلى المقبرة لتضع وردة من بكاء
وتقول أحد الاولاد هنا

و الآخر
بقايا هناك
و تشير إلى الشمال
في غازي عنتاب .... توضح
و تغرق بالدمع

#

وصايا
....

إقرأ سطورك الممحوة في كل البلاد
جُدرك التي تنهار تباعاً ... لتصل إليك
إسمع الأطفال يصرخون و هم على نقالات الإسعاف
يستنجدون بأمهات ذبيحات .. لم يعدن يسمعن
و أراك...
في نقط السيروم أراك
تنهمر ببطء ... مثل قدر محتوم
في نقط الدم أراك
تتجه إلى غرفة العمليات حثيثاً
تستطيع أن تتعقبه ... أيها الذئب
إن أردت.

أترجم كل القنابل التي على القنابل المُكتنزة التي فشل صاعقها
آتية من بلاد (بوشكين) الرائع
و معطف (غوغول) الحزين
أولادنا يفهمونها مكتوبة بإسمك أيها الخائن...
يا من سلمت لحمنا للغريب
لآيات الله ... (تنهشنا باسم شهيدها الذي قتلته بنا(
ألف مرة و مرة
....

أبانا الذي في قصره الفارغ
تجلى اسمك العظيم ... و عَلَى
كل أقبيتك لن تحميك
أو تمنع طوفان الإنتقام.

.....آتين إليك كلنا
بشجرنا
بجذورنا
بدم شهدائنا
بأمهاتنا الكبار
بأبائنا المهدودين من التعب .... و الخيبة بك
بخمسين ألف حلم ...قتلته ضباعك
بخمسين ألف عاشق لم يكتبوا رسالة أخيرة
لحبيبات صغيرات
آتين إليك
بسهولنا
بجبالنا
بكل مدننا الفقيرة
و قرانا التي عزلتها حداثتك

آتين إليك
انتظرنا أيها المذعور
(إنه الحب ...لا ريب فيه) .

w.l

#
يوم الطفل

و أنتم تتفقدون القتلى
اعثروا عليّ
وفائي أحمد ليلا

له شامة أسفل أذنه
)يلدغ) بحرف الراء
عرج قليل في قلبه
و بحيرتي دمع مالحتين في عينيه
و أنتم تقلّبون الجثث على طريق دمشق
اعثروا عليّ
يرتدي شورت أخضر
يختبئ في قميصه آيات و أناشيد زرق
تضطرم كل دفقات الدم
في شرفات الخجل
....حين يرد اسمه
و أنتم تعلقون الأسماء و الأرقام
امحوا اسم أمي جيداً كي لا تراني
امسحوا اسمي بلطخة دم كي حين تمر
لا ينتبه قلبها
فيسقط
أغمضوا عينيّ كي لا يصرخ موتي .... آماه
حين ستوسدونني تراب دمشق
لا تقولوا أن أخي قتلني
اخفوا عنوانه
ضللوا القضاة كي لا يقتلوه بي ... فأموت مرتين

حين ستقلبون الأوراق
مزقوا سجل القيد
و تاريخ المولد
و حين تسألكم أم هائلة القلب
اسمها قمر
قولوا لها
كل الوجوه متشابهة
كل الأعمار سواء
لم نستدل عليه
دعوها للشك
كي كلما دُق الباب
تظنني أنا ؛
كلما رأت مناماً
تهرع إلى نوافذ أولياء الشام لتربط خيط
كلما رأت طفلاً ضائعاً
تهرول إليه
....تقول ابني !